

# توحيد مواقف

أهل السنة والجماعة

أهميته وأسس تحقيقه

(رؤية شرعية)

جمع وإعداد

الشيخ / أحمد بن حسن المعلم

جمع الكلمات  
للنشر والتوزيع

مركز الفكر الإسلامي  
حضر موت، نريم

**توحيد مواقف**  
**أهل السنة والجماعة**  
**أهميته وأسس تحقيقه**

(رؤية شرعية)

جمع وإعداد

**الشيخ / أحمد بن حسن المعلم**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الفقرة

الحمد لله الأمر بالجماعة والائتلاف، الناهي عن التنازع والاختلاف، الدال على ما تجتمع به القلوب، المحذر مما يجلب الفتن والخطوب، الموجب لأداء الحقوق، المحرّم للظلم والبغي والعقوق.

والصلاة والسلام على نبي الرحمة، الأسوة الحسنة للأمم، الذي جعل من أصول الدين جمع كلمة المؤمنين ممثلاً ذلك بأفعاله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فكان من أوائل أعماله في المدينة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم، ومؤكداً ذلك بأقواله فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ**»<sup>(١)</sup>، ثم كتابة وثيقة المدينة بين ساكنيها من المسلمين واليهود وغيرهم، وكذلك أصحابه من بعده الذين قرروا أن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٣/١٢٨ برقم ٢٤٤٢)، و مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (٤/١٩٨٦ برقم ٢٥٦٤).

الخلاف شر، وأنه أسوأ من ترك بعض ما يعتقدون ترجيحه وأضر.

### أما بعد:

فإن ما تمر به أمة الإسلام هذه الأيام من ضعف وهوان، وتسلط الأعداء؛ بسبب تفرق أبنائها وتنازعهم، وفساد ذات بينهم، يحتم على كل غيور صادق محب لأمته أن يسعى في جمع كلمتها وحرص صفوفها، وتوحيد مواقفها، حتى تكون على الصفة التي يحبها الله تعالى، والتي أرشد إليها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُورًا﴾ [الصف: ٤].

ذلك المسعى الذي كان من أبرز أهداف رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كان من أول ما عمله حين وطئت قدماه المدينة: ثلاثة أعمال عظيمة:

**العمل الأول: بناء المسجد، ليربط الأمة بربها:** من خلال

العبادة القائمة على كلمة التوحيد، ويربط بعضها ببعض من خلال الأعمال المرتبطة بالمسجد؛ وأعظمها الصلاة، ولذا كان

يحرص على تسوية صفوفهم فيها، ويحذّرهم من اختلاف قائلاً: «لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم» (١).

### العمل الثاني: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: عن أنسٍ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ (٢). تلك الخطوة التي أظهرت صدق الإيمان، وقوة اليقين، واکتمال الأخوة الإيمانية لدى المهاجرين والأنصار جميعاً، وصبغتهم بصبغة اللحمة الواحدة، التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقد نوه القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

(١) رواه البخاري (١٢٨/٢) برقم (٧١٧)، ومسلم (٣٢٤/١) برقم (٤٣٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مؤاخاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه (١٨٣/٧) رقم (٢٥٢٩) من حديث أنس.



وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ  
 أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ  
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ  
 رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ  
 فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾ [الحشر: ٨-١٠]

١٠]، والتي امتن الله بها عليهم حيث قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا  
 بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ  
 كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ  
 عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
 ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وامتن بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأنصار حين وجدوا في  
 أنفسهم ما وجدوا عقب قسمة غنائم حنين، حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
 «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ  
 مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَايَةٌ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (٥/ ١٥٧) برقم  
 (٤٣٣٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على  
 الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (٢/ ٧٣٨) برقم (١٠٦١) عن عبد الله بن  
 زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### العمل الثالث: كتابة الوثيقة: ولم يكتب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بذلك، بل وسَّع الدائرة، وعمل على ضمان أمن المدينة واستقرارها بتوحيد مواقف ساكنيها على ما فيه مصالحهم العليا من تحقيق قُوَّتِهِمْ وهيبته مدينتهم أمام أعدائهم، واطقاء الأخطار المحدقة بهم، فكتب الوثيقة التي وَحَّدَتْ كلمة ساكني المدينة من مسلمين، ويهود، ومشركين (١).

وإذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد عمل على توحيد مواقف أهل المدينة وهم مللٌ شتى، على ما فيه مصلحتهم العليا، فمن باب أولى يشرع بل يتأكد السعي لتوحيد مواقف أمة الإسلام، وبالأخص أهل السنة والجماعة منهم بمفهومهم الواسع، توحيد مواقفهم على ما يحقق مصالحهم العليا، ويدفع عنهم الأخطار الكبرى المحدقة بهم - توحيد مواقفهم - وليس توحيد قناعاتهم وإزالة كل ما بينهم من خلاف، وإنما توحيد المواقف، وإحسان إدارة الخلاف،

(١) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١/٥٠١)، والسيرة النبوية الصحيحة، د: أكرم ضياء العمري (١/٢٧٣)، وثيقة المدينة، د: أحمد الشعبي (ص ٤٠).



والتأدب بأحسن آدابه، إذ إزالة الخلاف من أصله مُحَالٌ، كيف وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإنه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَيَسِيرُ اخْتِلافًا كَثِيرًا»<sup>(١)</sup>.

إذا الذي نسعى لإزالته هو النزاع الذي هو سبب الفشل وذهاب الريح كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الِّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفِشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦]، كما نسعى لإزالة أسباب هذا النزاع وإيضاح السبل المانعة من حصوله. ونظرًا لمكانة هذا الموضوع وأهميته، رأيت أن أوجه هذا النداء للقيادات، وأهل الحلّ والعقد من أهل السنة والجماعة، وكذا عموم المسلمين من أهل السنة والجماعة بمفهومهم الواسع، من خلال المباحث الآتية:

(١) أخرجه الترمذي ت شاكر في أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥ / ٤٤) (٢٦٧٦) وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١ / ١٥) (٤٢) وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤ / ٢٠٠) (٤٦٠٧) وصححه الألباني.



## المبحث الأول

### حقائق لا بد من معرفتها

ومن أجل تحقيق هذا المسعى أذكر ببعض الحقائق التي  
يجب أن يعرفها المسلمون:

#### الحقيقة الأولى: أمة الإسلام أمة واحدة:

أمة الإسلام أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ**  
**أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ربهما  
واحد، ونبیها واحد، وكتابها واحد، وقبلتها واحدة، وأصول  
عقائدها واحدة. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُوا  
دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، أَلَا  
لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ  
أَوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٨٦ برقم ٩٩٣)، وأبو داود، كتاب الديات، باب:  
أيقاد المسلم بالكافر (٤/١٨٠ برقم ٤٥٣٠)، والنسائي، كتاب القسامة،  
باب: القوديين الأحرار والماليك في النفس (٨/١٩ برقم ٤٧٣٤) عن علي  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/٢٦٦ برقم ٢٢٠٩).

وهذا يشمل جميع طوائف الأمة، ويقرر وحدتها،  
وتساويها في الحقوق العامة، وتساويها كذلك في الالتزام  
بالواجبات، فلا يهدر حق فرد أو جماعة منهم، ولا يعفى من  
القيام بالواجب الجماعي الذي تحتاجه الأمة أحد منهم، وإن  
كان مغموصًا في دينه مادام ظاهره الإسلام.

ومن أبرز الأدلة على ذلك عتاب الله لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**  
حيث أذن للمنافقين حين تخلفوا عن غزوة تبوك، فدلَّ على  
أن معاملتهم كانت بحسب ما ظهر منهم لا بحقيقة ما في  
قلوبهم.

**الحقيقة الثانية: حق المسلم ثابت بمجرد إعلانه للإسلام**

**ما لم يأت بناقض:**

كُلُّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدَ الْإِسْلَامِ فِي الظَّاهِرِ فَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي  
لَهُ عَلَى بَقِيَّةِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ حَقُّ الْإِسْلَامِ، قَالَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:  
«أَمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى: يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ  
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا

فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ،  
وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» (١) .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا،  
وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ،  
فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ» (٢) .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ،  
وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ» (٣) .

### وقد يُستثنى بعض هذه الحقوق لعارض مثل:

(أ) أن يقع المرء في حدٍّ من حدود الله، فيقام عليه الحد  
بضوابطه المعروفة، أو يسعى في تفريق الأمة، وهي مجتمعة

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] (١/ ١٤ برقم ٢٥)، ومسلم،  
كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله  
(٥٣/ ١ برقم ٢٢) عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة (١/ ٨٧  
برقم ٣٩١)، ومسلم، كتاب الأضاحي، باب: وقتها (٣/ ١٥٥٣  
برقم ١٩٦١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم،  
وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (٤/ ١٩٨٦ برقم ٢٥٦٤)  
عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

على إمام لها راضية به، فيخرج عليها وعليه، يريد إحداث إمامة أخرى أو إسقاطه بالقوة ليحلّ محله، فهذا يقاتل دفعاً للضرر المترتب على خروجه، وتعزيزاً له، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُضَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»<sup>(١)</sup>. وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُضَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»<sup>(٢)</sup>.

**(ب)** أو يقع في ذنب متعدّد يعودُّ ضرره على الأمة، فيحتاج إلى تأديبٍ، حتى يعود إلى رشده، فيعزر بالهجر، أو بغيره ممّا يراه الإمام رادعاً له، وزاجراً لغيره أن يفعل مثل فعله، أو أن

(١) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ لَمَّ بِحَدِّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] (٩/٥ برقم ٦٨٧٨)، ومسلم، كتاب القسامة، باب: ما يباح به دم

المسلم (٣/١٣٠٢ برقم ١٦٧٦) عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (٣/١٤٨٠ برقم ١٨٥٢) عن عرفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

يكون داعية إلى بدعة منكورة، وضلالة بيّنة، فيهجر ويعزل عن الوصول إلى عامة المسلمين، حمايةً للدين وتحصيناً للمسلمين من وباء بدعته، وكل تلك الإجراءات لها ضوابطها التي متى كملت شروطها، وطُبِّقَتْ تطبيقاً صحيحاً ترتبتُ عليها نتائجها النافعة، ومتى طُبِّقَتْ تطبيقاً خاطئاً ضرتْ ولم تنفع.

### الحقيقة الثالثة: انقسام الأمة إلى أهل سنة وأهل بدعة:

أمة الإسلام، أو [أمة الإجابة] من حيث الجملة تنقسم إلى قسمين: أهل سنة، وأهل بدعة، وفي كلا القسمين طوائف مختلفة تقترب من الحق وتبتعد عنه بحسب قربها وبعدها من الصراط المستقيم، والمحجّة البيضاء التي تركنا عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

### أهل السنة المحضة:

**فأهل السنة:** منهم أهل السنة المحضة الذين تمسكوا بسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين، وكانوا على مثل ما كان عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

ويقال لهؤلاء: أهل الحديث وأهل الأثر، والسلف الصالح وأتباعهم، الذين حفظوا الحديث، وحافظوا عليه، وعملوا به، وأوصلوه إلى أجيال الأمة المتعاقبة حفظاً لنصوصه، واستقامة على فصوصه <sup>(١)</sup> اعتقاداً، وعملاً، وعبادة، وسلوكاً. قال ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «وَنَحْنُ لَا نَعْنِي بِأَهْلِ الْحَدِيثِ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى سَمَاعِهِ أَوْ كِتَابَتِهِ أَوْ رِوَايَتِهِ، بَلْ نَعْنِي بِهِمْ: كُلَّ مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِحِفْظِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَفَهْمِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَاتَّبَاعِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْقُرْآنِ، وَأَدْنَى خَصْلَةٍ فِي هَؤُلَاءِ: مَحَبَّةُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْبَحْثِ عَنْهُمَا وَعَنْ مَعَانِيهِمَا وَالْعَمَلِ بِمَا عَلِمُوهُ مِنْ مُوجِبِهِمَا» <sup>(٢)</sup>.

وقد حدّهم ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** بأنهم: «الْمَتَمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ» <sup>(٣)</sup>. يدلُّ على هذا الوصف قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) **فَصُّ الْأَمْرِ:** أصله وحقيقته. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٦٦/٧)،

وتاج العروس، الزبيدي (٧٣/١٨).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٩٥/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣١٧/٦). عند تفسير الآية (٣٠-

٣١) من سورة الروم.

في حديث الافتراق عندما سُئِلَ عن الفرقة الناجية؟، قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»<sup>(١)</sup>. ويتحقق ذلك بضبط أصل الاستدلال والتلقي، فمن ضبط هذا الأصل، وتبرأ من البدع العملية، أو وقع في شيء منها قليل بحيث لم يسطع بها، وتكون غالبه عليه، فهو من أهل السنة المحضة وإن وقع فيما وقع من الأخطاء عن اجتهاد، أو تأويل، أو تقليد سائغ .

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: «وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْفِرْقَ إِنَّمَا تَصِيرُ فِرْقًا بِخِلَافِهَا لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فِي مَعْنَى كُلِّ فِي الدِّينِ وَقَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، لَا فِي جُزْئِيٍّ مِنْ الْجُزْئِيَّاتِ؛ إِذِ الْجُزْئِيُّ وَالْفِرْعُ الشَّاذُّ لَا يَنْشَأُ عَنْهُ مُحَالَفَةٌ يَقَعُ بِسَبَبِهَا التَّفَرُّقُ شَيْعًا، وَإِنَّمَا يَنْشَأُ التَّفَرُّقُ عِنْدَ وُقُوعِ الْمُخَالَفَةِ فِي الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ، لِأَنَّ الْكُلِّيَّاتِ تَقْتَضِي عَدَدًا مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ غَيْرَ قَلِيلٍ، وَشَأْنَهَا فِي الْغَالِبِ أَنْ لَا يَخْتَصُّ بِمَحَلٍّ دُونَ مَحَلٍّ، وَلَا بِبَابٍ دُونَ بَابٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦/٥ برقم ٢٦٤١)، والحاكم في المستدرک (١/٢١٨ برقم ٤٤٤)، والآجري في الشريعة (١/٣٠٨ برقم ٢٤). وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١/٣٨ رقم ٢٦٤١).

(٢) الاعتصام، الشاطبي (٣/١٣٩-١٤٠).

وقال أيضًا **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وَيَجْرِي مَجْرَى الْقَاعِدَةِ الْكُلِّيَّةِ كَثْرَةُ الْجُزْئِيَّاتِ، فَإِنَّ الْمُبْتَدِعَ إِذَا أَكْثَرَ مِنْ إِنْشَاءِ الْفُرُوعِ الْمُخْتَرَعَةِ عَادَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ بِالْمُعَارِضَةِ، كَمَا تَصِيرُ الْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ مُعَارِضَةً أَيْضًا، وَأَمَّا الْجُزْئِيُّ فَبِخِلَافِ ذَلِكَ، بَلْ يُعَدُّ وَفُوعٌ ذَلِكَ مِنَ الْمُبْتَدِعِ لَهُ كَالزَّلَّةِ وَالْفَلْتَةِ، وَإِنْ كَانَتْ زَلَّةُ الْعَالِمِ مِمَّا يَهْدُمُ الدِّينَ»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «أَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ تَكُونَ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ؛ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَتَبُوعٌ يَتَعَصَّبُونَ لَهُ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ تَمَيِّزًا بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا، وَأَكْمَثُهُمْ فُقَهَاءَ فِيهَا وَأَهْلُ مَعْرِفَةٍ بِمَعَانِيهَا وَاتِّبَاعًا لَهَا: نَصْدِيقًا وَعَمَلًا وَحُبًّا وَمُؤَالَاةً لِمَنْ وَالآهَا وَمُعَادَاةً لِمَنْ عَادَاهَا، الَّذِينَ يَرُدُّونَ الْمَقَالَاتِ الْمُجْمَلَةَ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ؛ فَلَا يَنْصَبُونَ مَقَالَةً، وَيَجْعَلُونَهَا مِنْ أَصُولِ دِينِهِمْ، وَجَمَلِ كَلَامِهِمْ إِنْ لَمْ تَكُنْ ثَابِتَةً فِيهَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، بَلْ يَجْعَلُونَ

(١) الاعتصام، الشاطبي (٣/ ١٤٠).

مَا بُعِثَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي  
يَعْتَقِدُونَهُ وَيَعْتَمِدُونَهُ»<sup>(١)</sup>.

ويلحق بهؤلاء عوامُّ المسلمين بشرائحهم المختلفة، بما فيهم  
الكثير من نخبهم المتعلّمة تعليماً غير شرعيّ، وإن حملوا أرفع  
المؤهلات في العلوم الدنيوية، فإن مؤهلاتهم تلك لا تخرجهم  
عن جملة عوامِّ المسلمين فيما يتعلق بعلوم الشريعة، وكذلك  
بعض رجال السياسة والحكم هم من هذه الناحية من عوامِّ  
المسلمين الذين الأصل فيهم السلامة من البدع المضلّة، وإن  
وقعوا في بعضها تقليداً، ولم يغلبوا أهواءهم على ما عرفوا من  
الحق، ومن كان هذا وصفه فلا يجوز أن يوصف بالبدعة، أو  
الخروج عن السنة، وقد يقع بين أهل هذا الوصف خلاف في  
مسائل عمليّة أو علميّة، لا تنقل أحداً منهم عن دائرة أهل  
السنة.

قال ابن حزم **رَحِمَهُ اللهُ**: «وَأَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ نَذَرَهُمْ أَهْلُ  
الْحَقِّ وَمَنْ عَدَاهُمْ فَأَهْلُ الْبِدْعَةِ، فَإِنَّهُمْ الصَّحَابَةُ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**،  
وَكُلُّ مَنْ سَلَكَ نَهْجَهُمْ مِنْ خِيَارِ التَّابِعِينَ - رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ -،

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/٣٤٧).

ثُمَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ جِيلاً فَجِيلاً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، أَوْ مَنْ أَقْتَدَى بِهِمْ مِنَ الْعَوَامِّ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (وَهَذَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ بِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُمْ الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ، وَأَمَّا الْفِرْقَةُ الْبَاقِيَةُ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الشُّذُوزِ وَالتَّفَرُّقِ وَالبِدْعِ وَالأَهْوَاءِ وَلَا تَبْلُغُ الْفِرْقَةُ مِنْ هؤُلَاءِ، قَرِيباً مِنْ مَبْلَغِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فَضْلاً عَنِ أَنْ تَكُونَ بِقَدْرِهَا)<sup>(٢)</sup>.

وللشيخ الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعليق على حديث الافتراق، ونُقُولٌ عن بعض العلماء، تتوافق مع ما قرره ابن حزم وابن تيمية رحمهما الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

### فَمَنْ هُوَ الْمُبْتَدِعُ الْمُخَالَفُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ؟

المبتدع المخالف لأهل السنة هو من خالف أصلاً أو أكثر من الأصول الكلية لأهل السنة والجماعة، وشاق الله

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٢/ ٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٣) ينظر: السلسلة الصحيحة، الألباني (١/ ٣٥٨).

ورسولَه، واتبَع غيرَ سبيلِ المؤمنين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الهدى المشهود لهم بالاستقامة على السنة، واتبَع أهل البدع المتفق على ابتداعهم عند أئمة أهل السنة، فتمسك بأصلٍ أو أكثر من أصولهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: «والبِدْعَةُ الَّتِي يُعَدُّ بِهَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مَا اشْتَهَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ مُحَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ كِبِدْعَةِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِيَّةِ»<sup>(١)</sup>، وكذلك من أكثر من البدع العملية، حتى صارت هي الغالبة عليه كما قرَّر ذلك الشاطبي **رَحِمَهُ اللهُ** في الاعتصام<sup>(٢)</sup>.

### الحقيقة الرابعة: توخي قاعدة مراعاة المصالح والمفاسد

#### في معاملة المخالفين:

هذا هو المخالف المبتدع الذي يستوجب الردُّ عليه من خلال مناظرته وإقامة الحجة عليه ودعوته إلى الحق، فإن أصرَّ على ما هو عليه من الباطل لزم التحذير منه، واستوجب الهجر والزجر وفق الضوابط الشرعية التي وضعها علماء

(١) مجموع الفتاوى (٤١٤/٣٥) ونص كلامه كاملاً يبدأ من (ص ٤١٣).

(٢) تقدم نص كلامه في صفحة (١٧).

أهل السنة لأمثاله، ولا سيما إذا كان داعياً إلى بدعته؛ وهذه الإجراءات خاضعة لقاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، فإن اقتضت تغليظاً غلظ عليه، وإن اقتضت تخفيفاً خفف عنه، وإن اقتضت تأجيلاً أُجِّلَ تنفيذها، وإن اقتضت إلغاءً أُلغيت، فهي ليست عبادةً توقيفيةً تُنفَّذ كما وردت.

قال ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: «وَهَذَا الْهَجْرُ يُخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ الْهَاجِرِينَ فِي قُوَّتِهِمْ وَصَعْفِهِمْ، وَقِلَّتِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ زَجْرُ الْمُهْجُورِ وَتَأْدِيبُهُ وَرُجُوعُ الْعَامَّةِ عَنْ مِثْلِ حَالِهِ: فَإِنَّ كَانَتِ الْمَصْلَحَةُ فِي ذَلِكَ رَاجِحَةً، بِحَيْثُ يُفْضَى هَجْرُهُ إِلَى ضَعْفِ الشَّرِّ وَخِفَتِهِ كَانَ مَشْرُوعًا، وَإِنْ كَانَ لَا الْمُهْجُورُ وَلَا غَيْرُهُ يَرْتَدِعُ بِذَلِكَ، بَلْ يُزِيدُ الشَّرَّ وَالْهَاجِرُ ضَعِيفٌ، بِحَيْثُ يَكُونُ مَفْسَدَةٌ ذَلِكَ رَاجِحَةً عَلَى مَصْلَحَتِهِ، لَمْ يُشْرَعِ الْهَجْرُ، بَلْ يَكُونُ التَّأْلِيفُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعَ مِنَ الْهَجْرِ، وَالْهَجْرُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعُ مِنَ التَّأْلِيفِ؛ وَهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَأَلَّفُ قَوْمًا وَيَهْجُرُ آخَرِينَ»<sup>(١)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٨/٢٠٦).

وهو كذلك يختلف باختلاف المهجورين، في قوتهم وضعفهم وقتلهم وكثرتهم، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هجر الثلاثة الذين خُلِّفُوا، وهم صادقون، وترك عقوبة المنافقين الكاذبين، ولم يقتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحداً من المنافقين والمرجفين رغم قول الله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۖ ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أَخَذُوا وَوَقَّتَلُوا نَفْسِيًّا ۖ ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢]، وما ذاك إلا أن تلك العقوبة متروكة لتقدير المصلحة المترتبة على تنفيذها أو المفسدة التي ستنتجم عن ذلك.

ولم يقتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض المنافقين، وقد فعلوا ما يُوجِبُ قتلهم؛ كما في قصة الخلاف الذي جرى بين المهاجرين والأنصار في غزوة بني المصطلق، وما قاله عبد الله بن أبي رأس المنافقين.

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: غزونا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثرُوا وكان من

المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريًا فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تداعوا وقال الأنصاري يا لأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين فخرج النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: «ما بال دعوى أهل الجاهلية؟» ثم قال: «ما شأنهم؟»، فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال: فقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «دعوها فإنها خبيثة»، وقال عبد الله بن أبي سلول: «أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟ لعبد الله فقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه»<sup>(١)</sup>.

فالمناقفون مختلطون بالمؤمنين، ويظن من لم يخبر حقائق الأمور أنهم منهم، فلو قتلهم لفتح بابًا للدعاية السيئة التي يُنْفَرُ بها من يريد أن يدخل في الإسلام، لأنَّ الإعلام المعادي سَيُوهِمُ مَنْ لا يعرف الحقيقة أنَّ محمدًا يقتل أصحابه، لشيءٍ في نفسه، فلا يرغب بعد ذلك أحدٌ في الدخول في الإسلام،

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: ما ينهى من دعوة الجاهلية (١٨٣/٤) برقم (٣٥٢٩)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب نصر الأخر ظالمًا أو مظلومًا (١٩٩٨/٤) برقم (٢٥٨٤).

خشية أن يصيبه ما أصاب أولئك، فرأى النبي ﷺ أن مفسدة تركهم أهون من المفسدة التي ستترتب على قتلهم، وهذا دليل على أن هذا من مسائل الاجتهاد، وليس من القطعيات، بل هو من القضايا التي تخضع لتقدير ولي الأمر، وهكذا كان دأب أئمة أهل السنة في تعاملهم مع بعض أهل البدع الكبرى كالجهمية والرافضة والقدرية والخوارج، ومع شدة الإنكار عليهم إلا أن معاملتهم لهم اتسمت في بعض الأحيان وبعض الأحوال باللطف واللين كما سيأتي، وهذا يؤكّد أن موقفهم منهم اجتهادي، وخاضع لقانون المصلحة والمفسدة.

وشيء آخر مهم هو: أن عقوبة المخالفين، والشدة عليهم غالباً ما تكون في حال قوة المسلمين، واستتباب الأمر لهم، فيُعَنَّفُ المخالف ويُزَجَرُ أو يهجر للحفاظ على الوضع العام، وعدم إتاحة الفرصة لفتح الثغرات، وتسلب التسليين لنقض عرى الدين، ولك أن تأخذ نموذج الشدة على المخالف وصرامة الموقف منه، وحسم مادة بدعته، من موقف عمر بن

الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من صبيغ بن عسل الذي كان يتعمق بأفكاره، ويسأل أسئلة يلوح منها الغلو والتكلف <sup>(١)</sup>.

وموقف عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من القدرية؛ حيث أعلن النكير عليهم، والبراءة منهم <sup>(٢)</sup>.

بينما نجد الموقف يختلف في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حيث لم يبادر بالاعتصام من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل كان بعضهم ضمن جيشه، ونجزم، بل نقسم بالله إنه لم يكن راضياً عنهم، ولكنه كان يرى المصلحة في تأجيل عقابهم، مراعاةً للمال المترتب على ذلك، وهكذا كان موقف بعض الصحابة، ومنهم ابن عمر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم من بعض طوائف الخوارج حين ظهرت، واستولت على مكة أو المدينة.

وحينما كان الجهمية غالبين على خراسان، وأهل السنة قلة ضعيفة هناك وجه الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ أهل السنة

(١) ينظر: موطأ الإمام مالك [ ]، وسنن الدارمي (١/ ٥٥-٥٦)، والشرعية للأجري (١/ ٤٨٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (٤/ ٦٣٤-٦٣٦).

(٢) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (١/ ٣٦ برقم ٨).

بعدم هجرهم، أو اتخاذ موقف ظاهر منهم، لأن ضرر ذلك سيعود على أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: «وَمَا أَمْرٌ بِهِ مِنْ هَجْرِ التَّرْكِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَهَجْرِ الْعُقُوبَةِ وَالتَّعْزِيرِ إِنَّمَا هُوَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى فِعْلِهِ وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ فِي السَّيِّئَةِ حَسَنَةٌ رَاجِحَةٌ لَمْ تَكُنْ سَيِّئَةً وَإِذَا كَانَ فِي الْعُقُوبَةِ مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى الْجُرِيمَةِ لَمْ تَكُنْ حَسَنَةً؛ بَلْ تَكُونُ سَيِّئَةً؛ وَإِنْ كَانَتْ مُكَافِئَةً لَمْ تَكُنْ حَسَنَةً وَلَا سَيِّئَةً فَالْهَجْرَانُ قَدْ يَكُونُ مَقْصُودُهُ تَرْكُ سَيِّئَةِ الْبِدْعَةِ الَّتِي هِيَ ظُلْمٌ وَذَنْبٌ وَإِثْمٌ وَفَسَادٌ، وَقَدْ يَكُونُ مَقْصُودُهُ فِعْلُ حَسَنَةِ الْجِهَادِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَعُقُوبَةُ الظَّالِمِينَ لِيَنْزَجِرُوا وَيَرْتَدِعُوا، وَلِيَقْوَى الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ عِنْدَ أَهْلِهِ. فَإِنَّ عُقُوبَةَ الظَّالِمِ تَمْنَعُ النُّفُوسَ عَنِ ظُلْمِهِ وَتَحْضِيهَا عَلَى فِعْلٍ ضِدِّ ظُلْمِهِ: مِنَ الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي هَجْرَانِهِ أَنْزَجَارٌ أَحَدٍ وَلَا أَنْتِهَاءٌ أَحَدٍ؛ بَلْ بَطْلَانٌ كَثِيرٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ الْمَأْمُورِ بِهَا لَمْ تَكُنْ هِجْرَةً مَأْمُورًا بِهَا كَمَا ذَكَرَهُ أَحْمَدُ عَنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ إِذْ ذَاكَ: أُمَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَفُورُونَ بِالْجُهْمِيَّةِ. فَإِذَا عَجَزُوا عَنْ إِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ لَهُمْ سَقَطَ

الأمرُ بِفِعْلِ هَذِهِ الْحُسْنَةِ، وَكَانَ مُدَارَاتِهِمْ فِيهِ دَفَعَ الضَّرْرَ عَنِ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَأْلِيفُ الْفَاجِرِ الْقَوِيِّ. وَكَذَلِكَ لَمَّا كَثُرَ الْقَدَرُ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلَوْ تَرَكَ رِوَايَةَ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ لَأَنْدَرَسَ الْعِلْمُ وَالسُّنَنُ وَالْآثَارُ الْمُحْفَوظَةُ فِيهِمْ. فَإِذَا تَعَذَّرَ إِقَامَةُ الْوَاجِبَاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْ فِيهِ بِدْعَةٌ مَضَّرَتْهَا دُونَ مَضَرَّةِ تَرْكِ ذَلِكَ الْوَاجِبِ: كَانَ تَحْصِيلُ مَصْلَحَةِ الْوَاجِبِ مَعَ مَفْسَدَةِ مَرْجُوحَةٍ مَعَهُ خَيْرًا مِنَ الْعَكْسِ. وَهَذَا كَانَ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ فِيهِ تَفْصِيلٌ<sup>(١)</sup>. فهذه النماذج وغيرها كافية لإثبات قاعدة التفريق بين موقف أهل السنة من خصومهم في وقت القوة ووقت الضعف، وقد نهى النبي ﷺ أن تقطع الأيدي في الغزو، فقال ﷺ: «لَا تُقَطِّعُ الْأَيْدِي فِي الْغَزْوِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢١٢-٢١٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩/١٦٨ برقم ١٧٦٢٦)، والترمذي، كتاب الحدود، باب: ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو (٤/٥٣ برقم ١٤٥٠)، والدارمي (٣/١٦١٨ برقم ٢٥٣٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩/٦ برقم ٨٩٥١)، عن بسر بن أبي أرطاة رضي الله عنه، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٢/١٠٦٨ برقم ٣٦٠١).

فإذا أجلت الحدود وهي مصلحة كبرى، ومقصد عظيم من مقاصد الإسلام؛ درءاً لما قد يترتب على تنفيذها من المفاسد التي هي أعظم من تعطيلها، أو تأجيلها، فما بالك بما هو دون الحدود .

وليس معنى ذلك: أن نتجنب منهج السلف في معاملتهم لأهل البدع الكبرى، والدعاة إليها، وإلى كل ما يفسد عقائد المسلمين، ولكن علينا أن نأخذ بشقي المنهج، ونجمع بين التنظير والتطبيق؛ حتى لا نفتت عليهم، بإبراز جانب الشدة، وإخفاء جانب الرفق واللين أو العكس، وبهذا يظهر أن ذلك المسلك واسع ومتنوع، فجانب الشدة وقاية وعلاج، فإن ترتب عليه ما يرجى من العلاج والوقاية والمصلحة الراجحة فعلناه وإن ترتب عليه مفسدة أو مفاسد وسعنا تركه، والعمل بالمسلك الآخر للسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ من الإعراض عن أولئك المتدعة، أو ملاطفتهم إن دعت الضرورة إلى ذلك، وفي كل ذلك لنا أسوة حسنة في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي صحابته وأئمة السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

## الحقيقة الخامسة: المسائل الاجتهادية لا توجب زجراً يؤدي إلى النزاع والتفرق:

الخلاف في المسائل الاجتهادية وهي: - ما ليس فيها نص صحيح صريح، ولا إجماع معتبر ثابت، ولا قياس جلي سالم من القبح - المخالف فيها لا يعدُّ مخالفاً بالمعنى الذي عيناه آنفاً، ولا مبتدعاً، وقد صرح العلماء أنه لا إنكار في هذه المسائل.

وقال ابن قدامة المقدسي **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُنْكَرَ عَلَى غَيْرِهِ الْعَمَلُ بِمَذْهَبِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا أَنْكَارَ عَلَى الْمُجْتَهِدَاتِ» (١).  
وقال النووي **رَحْمَةُ اللَّهِ:** لَيْسَ لِلْمُفْتِيِّ وَلَا لِلْقَاضِي أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ إِذَا لَمْ يُخَالَفْ نَصًّا أَوْ إِجْمَاعًا أَوْ قِيَاسًا جَلِيًّا» (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «... إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْإِجْتِهَادِيَّةِ لَا تُنْكَرُ بِالْيَدِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِهِ فِيهَا؛ وَلَكِنْ يَتَكَلَّمُ فِيهَا بِالْحُجَجِ الْعِلْمِيَّةِ فَمَنْ نَبَّيْنَاهُ لَهُ

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح (١/١٨٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٤).

صِحَّةُ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ تَبِعَهُ وَمَنْ قَلَّدَ أَهْلَ الْقَوْلِ الْآخَرَ فَلَا يُنكَارُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

في هذا المنهج الذي توارد عليه الأئمة، دلالة واضحة على أن المخالف في المسائل الاجتهادية لا يخرج عن إطار أهل السنة المحضة.

### الحقيقة السادسة: تعريف أهل السنة بمفهومهم الواسع:

مصطلح أهل السنة بمفهومه الواسع يطلق على جمهور الأمة ما عدا الرافضة، فيدخل فيه أهل الحديث والأثر، وهم كُلُّ مَنْ كَانَ مَتَّبِعًا مِنْهُجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما يدخل فيه الأشاعرة و الماتريدية ومعتدلو الصوفية ونحوهم.

وهذا الإطلاق كثيرًا ما يردّه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في منهاج السنة؛ حيث كانت مواجتهه هناك مع الرافضة. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَفِظُ أَهْلِ السُّنَّةِ يُرَادُ بِهِ مَنْ أَثْبَتَ خِلَافَةَ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ الطَّوَائِفِ إِلَّا الرَّافِضَةَ،

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٠/ ٨٠). وقد شرح رَحِمَهُ اللَّهُ وفصل وأبان عذر الأئمة في مخالفتهم لبعض النصوص في كتابه الشهير (رفع الملام عن الأئمة الأعلام).

وَقَدْ يُرَادُ بِهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ الْمَحْضَةِ، فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ إِلَّا مَنْ يُثَبِّتُ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنَّ اللَّهَ يَرَى فِي الْآخِرَةِ، وَيُثَبِّتُ الْقَدَرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُصُولِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ** في سياق حديثه عن الأشاعرة: «وإن كان في كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة ما لا يوجد في كلام عامة الطوائف، فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يُعَدُّونَ من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «أهل السنة يدخل فيهم المعتزلة، يدخل فيهم الأشعرية، يدخل فيهم كل من لم يكفر من أهل البدع، إذا قلنا هذا في مقابلة الرافضة، لكن إذا أردنا

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٢/ ٢٢١).

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية (٣/ ٥٣٨).

أن نبين أهل السنة، قلنا: إن أهل السنة حقيقة هم السلف الصالح الذين اجتمعوا على السنة وأخذوا بها، وحينئذ يكون الأشاعرة والمعتزلة والجهمية ونحوهم: ليسوا من أهل السنة بهذا المعنى»<sup>(١)</sup>.

### لماذا نخرج الرافضة من مسعانا لتوحيد المواقف؟

نعم وبلا تردد أو مجاملة نخرج الرافضة ولا يمكن أن نثق بهم، لما علمناه من غدرهم وخيانتهم، فلا نركن إليهم، أو أن نعتد عليهم في تحقيق مصلحة للأمة أو دفع مفسدة عنها.

فقياداتهم العلمية والفكرية والسياسية وسائر أئمتهم منافقون؛ يقولون بالسنته ما ليس في قلوبهم فحق لنا أن ننزل عليهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ سُنْدَةٍ يَّحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنُلَهِمُ اللَّهَ أَنْ يَؤُفَّكَونَ﴾ [المنافقون: ٤].

هذه حقيقتهم وهي تشمل جملة أئمتهم الا ما ندر والنادر لا حكم له يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ثم إن

(١) الشرح المتع، ابن عثيمين (٣٠٦/١١).

هؤلاء يخونون ولاية أمور المسلمين في الجهاد وحفظ البلاد، وهم أعداؤهم عداوةً دينيةً؛ إذ كانوا يعادون خيار الأمة، وخيار ولاية أمورها الخلفاء الراشدين، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذي ابتدع الرّفْض كان منافقاً زنديقاً أظهر موالاته أهل البيت؛ ليتوسل بذلك إلى إفساد دين الإسلام، كما فعل بولص مع النصارى، ولهذا كانت الرفضية ملجأً لعامة الزنادقة القرامطة، والإسماعيلية، والنصيرية، ونحوهم، فلا يصلح لولاية الأمور أن يوّلّوهم على المسلمين، ولا استخدمهم في عسكر المسلمين، بل إذا استبدل بهم من هو من أهل السنة والجماعة كان أصلح للمسلمين في دينهم ودنياهم، [و] إذا أظهروا التوبة والبراءة من الرفض، لم يوثق بمجرد ذلك، بل يُحتاط في أمرهم، فيفرّق جمعهم، ويُسكنون في مواضع متفرقة بين أهل السنة، بحيث لو أظهروا ما في أنفسهم عرفوا، ولا يتمكنون من التعاون على الإثم والعدوان، فإنهم إذا كان لهم قوّة وعدد في مكان، كانوا عدوّاً للمسلمين مجتمعين، يعادونهم أعظم من عداوة التتر<sup>(١)</sup>.

(١) جامع المسائل المجموعة، ابن تيمية (١/٢٠٩-٢١٠).

بكثير، ولهذا يخبر أهل الشرق القادمون من تلك البلاد: أن الرافضة أضرت على المسلمين من التتر، وقد أفسدوا ملك التتر وميلوه إليهم، وهم يختارون دولته وظهوره، فكيف يجوز أن يكون في عسكر المسلمين من هو أشدّ عداوةً وضرراً على المسلمين من التتر؟!

والتتريُّ إذا عَرَفَ الإسلامَ ودُعي إليه أحبه واستجاب إليه، إذ ليس له دين يقاتل عليه ينافي الإسلام، وإنما يقاتل على الملك، وأما الرافضة فإن من دينهم السعي في إفساد جماعة المسلمين وولاية أمورهم، ومعاونة الكفار عليهم؛ لأنهم يرون أهل الجماعة كفاراً مرتدّين، والكافر المرتدّ أسوأ حالاً من الكافر الأصلي، ولأنهم يرجون في دولة الكفار ظهورَ كلمتهم وقيام دعوتهم ما لا يرجونه في دولة المسلمين، فهم أبداً يختارون ظهور كلمة الكفار على كلمة أهل السنة والجماعة، كما قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الخوارج: «يقتلون أهل الإسلام ويبدعون أهل الأوثان»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلِيَٰلَآءِ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ برقم (٣٣٤٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٤).

### مَنْ يَخْرُجُ مِنْ دَائِرَةِ أَهْلِ السَّنَةِ إِضَافَةً إِلَى الرَّافِضَةِ؟

ويخرج عن دائرة أهل السنة إضافة إلى الرافضة، في وضعنا هذا وما ندعو إليه؛ الخوارج السابقون، كما يخرج الخوارج المعاصرون، وهم: الخارجون على جماعة المسلمين وإمامهم، والمتوسّعون في استحلال الدماء، فإنهم لا يرجى خيرهم، ولا يُؤْمَنُ شرُّهم، وهم وإن كانوا يدّعون أنهم أهل سنة، وأنهم سلفيون إلا أنهم ليسوا من السنة ولا السلفية في شيء، بل إن مواقفهم أكثر انسجامًا مع الرافضة منها مع أهل السنة.

فالخوارج أعداء أهل السنة؛ يستبيحون دماءهم وأموالهم في القديم والحديث، وقد ذكر الإمام الذهبي في السير في ترجمة الفقيه: العباس بن عيسى الممسي، أن الخوارج في المغرب العربي قاموا بثورة على الدولة العبيدية، ورأى أهل السنة أن الخوارج أقرب إليهم من العبيديين؛ فانضمَّ أهل السنة إلى الخوارج يقاتلون العبيديين معهم، وفي النهاية غدر الخوارج بأهل السنة، فقال **رَحِمَهُ اللهُ**: «خَرَجَ مُحَمَّدُ الزَّنَاتِي المَذْكُورُ صَاحِبُ الحِمَارَةِ، وَكَانَ زَاهِدًا، فَتَحَرَّكَ لِقِيَامِهِ كُلُّ أَحَدٍ

فَفَتَّحَ الْبِلَادَ، وَأَخَذَ مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانَ لَكِنْ عَمِلَتْ الْخَوَارِجُ كُلُّ قَبِيحٍ، حَتَّى أَتَى الْعُلَمَاءُ أَبَا يَزِيدَ يَعْيُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: نَهَبِكُمْ حَالًا لَنَا، فَلَا طَفُوهُ حَتَّى أَمُرَهُمْ بِالْكَفِّ، وَتَحَصَّنَ الْعُبَيْدِيُّ بِالْمَهْدِيَّةِ، وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا يَزِيدَ لَمَّا أَيْقَنَ بِالظُّهُورِ، غَلَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ الْخَارِجِيَّةَ، وَقَالَ لِأَمْرَائِهِ: إِذَا لَقِيتُمُ الْعُبَيْدِيَّةَ، فَانْهَزُوا عَنِ الْقَيْرَوَانِيِّينَ، حَتَّى يَنَالَ مِنْهُمْ عَدُوُّهُمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَاسْتَشْهَدَ خَلْقٌ، وَذَلِكَ سَنَةَ نَيْفٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، فَالْخَوَارِجُ أَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا الْعُبَيْدِيَّةُ الْبَاطِنِيَّةُ، فَأَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»<sup>(١)</sup>.

هذا نموذج من غدر الخوارج في القديم، وأما غدرهم بإخوانهم ولاسيما المجاهدين الصادقين منهم في العصر الحاضر، فأشهر من أن يدل على ذلك، فأفعال جماعات العنف، وحرهم للدعاة والمجاهدين الصادقين في سوريا وغيرها معلومة وموثقة .

ويخرج عن أهل السنة كذلك: أصحاب البدع المكفرة، كالقائلين بالحلول والاتحاد من الصوفية الغالية.

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/٣٧٣).

كما يخرج من - واجب توحيد المواقف - من عرف بمولاته الظاهرة لأعداء الله، وخيانتة للمسلمين، فإنه لا يركن إليه ولا يعتمد عليه، فلا ينبغي أن يشوه أهل السنة بنسبته إليهم، فمن ظهر منه ذلك نوبذ منابذة ظاهرة، ومن أخفاه حتى التبس أمره، عومل معاملة المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد كان يعاملهم في الظاهر معاملة المسلمين، ويكُلُّ سرائرهم إلى الله ويحذّرهم كما أمره الله.

و يلزم جماعة المسلمين الحذر من هؤلاء ؛ كما حذّر منهم القرآن، قال تعالى: **﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ يُحْسِبُونَ كُلَّ صِخِرَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾** [المنافقون: ٤].

وما عدا هؤلاء هم أهل السنة بالمعنى الواسع، هم الأمة الواحدة التي يلزم كل مسلم أن يصدق في الانتماء إليها، ويجب على كل محب للإسلام وأهله أن يجها، ويغار عليها ويدنيها، ولا يبعد فئةً من فئاتها، ولا يدفع بأحد من أبنائها لينحاز إلى أعدائها.

نعم هي أمة الإسلام الواحدة، بجميع فئاتها ومذاهبها وجماعاتها وعلماؤها وحكامها وأفرادها.

هذا من حيث الجملة، وأما من حيث النظر الى كل فئة أو كل فرد فإنما تكون محبتهم وموالاتهم بقدر ما هم عليه من الاستقامة على السنة ومتابعة الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم، ولزوم الطاعة ومجانبة المعصية.

وكثيراً ما كنا نسمع ونقرأ عن الدول السنيّة: الغزنويين، والسلاجقة، والزنكيين، والأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين، التي كانت توصف بأنها دول سنيّة مع أنّ العلماء ذوي الكلمة النافذة عند حكامها، وقادة الفكر فيها هم في الغالب أشاعرة، أو ماتريديّة، وفيهم تصوّف، وقد صبّغوا تلك الدول بصبغتهم، ومع ذلك نجد مؤرّخي أهل السنة يفاخرون بتلك الدول، ويكثرون من الثناء عليها، ويُعدّدون مناقبها، وهذا تجده بكثرة عند شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه وفتاواه<sup>(١)</sup>، كما نجده عند ابن كثير وما زال هذا دأب العلماء والمؤرّخين إلى هذا العصر؛ وذلك أن هذه الدول كانت تمثل

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥٦/١٩).



أهل السنة، في مواجهة الدول الرافضية كالبيوية والفاطمية والقرامطة والصفويين.

وكذلك المذاهب: فمذاهب أهل السنة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، مع أن كثيرًا من أتباعها ما بين أشعرية وماتريديية وحنبلية - اعتقاداً -، كلها يقال لها: مذاهب أهل السنة في مقابل مذاهب الشيعة المختلفة، وفي أفراد العلماء كذلك؛ ينسب لأهل السنة كل مَنْ كان مجاناً للرفض وأهله، خصوصاً إذا كان له جهود في مواجهة الرافضة، وكذا من اشتهر بالعلم والخير مِّنْ جانب المبتدعة المشار إليهم آنفاً ولم يتمسكْ بأصلٍ من أصولهم، وكل هؤلاء الذين سمّيناهم أهل السنة - بالمعنى الواسع لهذا المصطلح - من علماء وحكام وعامة؛ يجب عليهم أن يوحّدوا مواقفهم، في هذه الظروف التي اجتمعت فيها طوائف الكفر والرفض والنفاق على اختلاف نِحْلِها ودولها اجتمعوا على محاربة أهل السنة.

## المبحث الثاني

## فرق الشيعة برغم تباينهم يتوحدون على محاربة أهل السنة

على رغم ما بين فرق الشيعة ومذاهبها من الخلاف والتباين، وتكفير بعضهم بعضًا؛ نجدهم يتوحدون على محاربة أهل السنة؛ والواقع خير شاهد، فالهدف الكبير الذي وضعتة ثورة الخميني هو هيمنة الرافض على العالم الإسلامي وكأنه يريد أن يعيد ما كان للرافضة من تسلط وهيمنة على العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري؛ فقد عم فيه شرهم وطم، وفي تصوير ذلك يقول الإمام ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** متحدثًا عن ذلك التسلط الخبيث: «وقد امتلأت البلاد رفضًا وسبًا للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرًا وشامًا وعراقًا وخراسان وغير ذلك من البلاد، كانوا رفضًا، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، فكثير السب والتكفير منهم للصحابة»<sup>(١)</sup>.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١/٢٣٣).

يقول الإمام الذهبي **رَحْمَةُ اللَّهِ** متبرماً متشكياً من ذلك الواقع الأليم: «قُلْتُ: فنحمدُ اللهَ عَلَى العَافِيَةِ، فَلَقَدْ جَرَى عَلَى الإِسْلَامِ فِي المَائَةِ الرَّابِعَةِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ بِالدَّوْلَةِ العُبَيْدِيَّةِ بِالمَغْرِبِ، وَبِالدَّوْلَةِ البُؤَيْهِيَّةِ بِالمَشْرِقِ، وَبِالأَعْرَابِ القَرَامِطَةِ، فَالأمْرُ لِلَّهِ تَعَالَى»<sup>(١)</sup>.

وكما فعل الصفويون في القرن العاشر الهجري؛ ولأنَّ مذاهب الشيعة مذاهب سياسية قبل أن تكون دينية قائمة على توحيد الله واتباع رسوله؛ فالإمامة عند أكثرهم مقدّمة على ركني الشهادتين والصلاة<sup>(٢)</sup>، فقد وحّدهم هاجس التسلط أو الهدف السياسي [المقدس عندهم]، فجمعوا كيدهم ثم جاؤوا صفّاً على منهج فرعون في محاربتة لموسى وهارون وقومهما، ووحدوا جبهتهم، التي جمعت بعض الزيدية مع الاثني عشرية مع الباطنية بأجنحتها الإسماعيلية والنصيرية؛ توحدوا سياسياً رغم تباينهم العقدي الصارخ؛ فالزيدية

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٥٢/١٦).

(٢) انظر: مرآة العقول (١١٦/٧) دار الكتب الإسلامية - طهران والكافي على هامش مرآة العقول (١١٦/٧) وكذلك الكافي طبعة التعارف:

(٢/٢٦) وبحار الأنوار (٨/٣٦٨/٣٦٩).

تكفّر الاثني عشرية، والاثنا عشرية تكفّر الزيدية، وكلاهما يكفّران الإسماعيلية والنصيرية، والتصريح بالتكفير ثابت في كتبهم بنص أقولهم<sup>(١)</sup>.

ومع حكم هذه الفرق بعضها على بعض بالكفر إلا أنه جمعتهم أهدافهم السياسية، والسعي إلى السلطة، والتحكم في مصير الأمة، والاستحواذ على مصالحها، وأن يتحوّلوا من أقلية هامشية فيها إلى قوة مهيمنة عليها، فرصوا صفوفهم، وجمعوا كلمتهم، ووجدوا مواقفهم، بل بذل كل منهم كل إمكانياته لإنجاح هذا الهدف.



(١) الرسائل الفقهية - الخواجوي (٢/ ١١٣-١١٤)، الأحكام في الحلال والحرام (١/ ٤٤٥-٤٥٥)، بحار الأنوار، للمجلسي (٣٧/ ٣٤٩) (٤) الرسالة المتوكلية في هتك أستار الإسماعيلية (٦)، المجموع المنصوري (١/ ٣١١)، بحوث في الملل والنحل، السبحاني التبريزي (ص ١٧٨٠).

### المبحث الثالث

## واجب أهل السنة إزاء اصطفاف أهل الكفر والنفاق لمحاربتهم

أهل السنة - والحمد لله - أمة واحدة شعارهم السنة والجماعة، هم أهل السنة لاتباعهم له، وأهل الجماعة لاجتماعهم عليها، ودينهم مبنيٌّ على كلمة التوحيد، التي عليها يقوم الدين، ويتوحد المؤمنون، فمتى أقاموا أصل التوحيد، واستقاموا عليه، تحقَّق لهم الأصل الثاني، وهو توحيد الكلمة، الذي به يُحمى الدين، ويعزُّ المؤمنون .

لا يقول أحد من علمائهم المعتبرين بتكفير من خالفه مادام في الإطار الواسع لأهل السنة، ولا بإسقاط حقوق الإسلام عنه، لهذا كله يجب على أهل السنة أن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى، وأن يوحدوا مواقفهم، وأن يُوالي بعضهم بعضًا، وينصر بعضهم بعضًا، وأن يوفروا الأسباب التي تمكنهم من ذلك.

وحينما بين القرآن ما يجب أن يكون عليه المؤمنون من تَوَلَّيْ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، ومناصرة بعضهم بعضًا، في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَبَالٍ لِيَتَّبِعِ مَنْ شَاءَ حَتَّىٰ يهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وبين ما عليه الكفار من موالاته بعضهم بعضًا إذا كانوا في مواجهة المسلمين أهل الحق أهل السنة كما هو مشاهد اليوم، بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

بعدهما أثبت الله هذه الحقائق الشرعية، والسنن الكونية، قال سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

إذن: إذا لم تُقِمِ الأمة أصل الولاء كاملاً كما حدده الله بقوله: ﴿ إِنَّا وَإِيَّاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

كما أن عدوهم سواء كان من كفار أهل الكتاب أو غيرهم، أو من المنافقين والرافضة قد أقاموا بينهم هذا الأصل فوالا بعضهم بعضاً لحرب المؤمنين؛ أهل الدين الحق، أهل السنة والجماعة، إذا لم يُقَمَّ أهل السنة كل أهل السنة هذا الأصل، بحيث يصبحون قوة واحدة متينة ضاربة، فستقع الفتنة والفساد الكبير، من اجتياح أهل الباطل لأهل الحق بالفتنة، وهي خلط المفاهيم، وتبديل حقائق الدين، ونشر العقائد الباطلة، والثقافات السافلة، والسلوك المنحط في أوساط المسلمين، واستباحة بيضة المسلمين تفتيلاً وتشريداً واعتداءً على كرامتهم، وإهلاكاً لحرثهم ونسلهم، وهذا قد وقع منه ما لا يعد ولا يحصى في أماكن مختلفة من ديار المسلمين.

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، أي: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التواصل، وتولي بعضكم بعضاً، ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار، تحصل

فتنة في الأرض، ومفسدة عظيمة؛ لأن المسلمين ما لم يصيروا  
يداً واحدة على الشرك، كان الشرك ظاهراً، والفساد زائداً، في  
الاعتقادات والأعمال»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا **رحمة الله** بعد مناقشة لبعض  
الأقوال المتعلقة بتفسير الآية: «وأقول: الأظهر أن الفتنة في  
الأرض ما ذكرنا من اضطهادهم المسلمين، وصدهم عن  
دينهم، كما يدل عليه ما سبق في هذه السورة، وفي سورة  
البقرة، وهي من لوازم قوة الكفر وسلطان أهله الذي كانوا  
عليه، ولا يزال الذين يدعون حرية الدين منهم في هذا العصر  
يفتنون المسلمين عن دينهم حتى في بلاد المسلمين أنفسهم،  
بما يليق به دعاة النصرانية منهم من المطاعين فيه، وفي الرسول  
**صلى الله عليه وسلم**، وبما يغرون به الفقراء من العوام الجاهلين من  
المال، وأسباب المعيشة، كذلك الفساد الكبير من لوازم  
ضعف الإسلام، الذي يوجب على أهله تولى بعضهم لبعض  
في التعاون والنصرة وعدم تولى غيرهم من دونهم...، ومن  
وقف على تاريخ الدول الإسلامية التي سقطت وبادت والتي

(١) محاسن التأويل، القاسمي (٥/ ٣٣٥).

صُعِفَتْ بَعْدَ قُوَّةٍ، يَرَى أَنَّ السَّبَبَ الْأَعْظَمَ لِفَسَادِ أَمْرِهَا تَرْكُ  
تِلْكَ الْوِلَايَةِ أَوْ اسْتِبْدَالُ غَيْرِهَا بِهَا»<sup>(١)</sup>.

**والخلاصة:** أن أعداء الله يتولى بعضهم بعضاً في مواجهة  
المؤمنين، فيشكّلون قوة عظمى رادعة، بل غاشمة ومعتدية،  
فإن واجهها المسلمون صفّاً واحداً على كلمة سواء، وتعاونٍ  
وتناصرٍ تامٍّ، بحيث يصبحون قوة حق، توازي قوة الباطل  
والعدوان؛ وإلا فالنتيجة: وقوع الفتنة في الدين، والأخلاق  
والهوية، واستعلاء ثقافة الكافرين ومبادئهم على ثقافة  
المؤمنين ومبادئهم، ويقع الفساد الكبير، وهو إفساد الدين،  
إهلاك الحرث والنسل، وإيقاع الذل والهوان بالمسلمين.



(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١٠/١٠٠).

## المبحث الرابع

# كيف يكون تغيير الحال من الأسوأ إلى الأحسن؟

تغيير حال الأمة من الضعف والهوان إلى العزة والكرامة، ومن الهزيمة والخذلان إلى النصر والتمكين، ومن الفرقة والنزاع إلى الوحدة والألفة والتعاون والتناصر؛ لا يتحقق غالباً إلا على أصليين مهمَّين هما:

### الأصل الأول: الضرار إلى الله والتضرع بين يديه:

فيجب على الأمة، إصلاح ما بينها وبين ربها؛ بالتوبة والرجوع إليه توبة شاملة تعم جميع شرائحها، في جميع جوانب حياتها، وعلى رأس ذلك التوحيد والإتباع، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ

﴿٤٣﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الأنعام: ٤٠-٤٣]. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «الآية الكريمة آية عظيمة تدل على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بكمال عدله وكمال حكمته لا يُغَيِّرُ ما يقوم من خير إلى شر، ومن شر إلى خير، ومن رخاء إلى شدة، ومن شدة إلى رخاء، حتى يغيروا ما بأنفسهم، فإذا كانوا في صلاح واستقامة وغيروا غير الله عليهم بالعقوبات والنكبات والشدائد والجذب والقحط والتفرق وغير هذا من أنواع العقوبات جزاءً وفاقاً، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقد يمهلهم سبحانه ويملي لهم ويستدرجهم لعلهم يرجعون، ثم يؤخذون على حين غرة كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ

شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤]، يعني: آيسون من كل خير، ونعوذ بالله من عذاب الله ونقمته»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَدْنَابَ الْبُضْرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ»<sup>(٢)</sup>، يعني: إذا فعلتم هذه الأفعال السيئة من الانهالك في الدنيا، والتهافت عليها، وتجاوزتم لذلك الحلال إلى الحرام، وحملكم حرصكم على جمع المال على ارتكاب المعصية بالتعامل بالمعاملات المحرمة، وانشغلتم بتدبير أمر دنياكم من التجارة والزراعة وغيرها من وسائل الكسب عمًا أو جبه الله عليكم من الفرائض، وأبرزها الجهاد في سبيل الله سَلَطَ اللهُ عليكم بسبب ذلك ذُلًّا؛ بتسلط الأعداء عليكم بحيث يُخَيِّمُ ذلك الذل عليكم، ويستمر حتى

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٢٩٧/٩).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب: في النهي عن العينة (٢/٢٧٤ برقم ٣٤٦٢)، والبخاري في مسنده (١٢/٢٠٥ برقم ٥٨٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/١٦ برقم ١٠٧٠٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٤٢ برقم ١١).

تغيروا ما بأنفسكم؛ مِنْ حُبِّ الدنْيا، وما يترتَّبُ عليه من ترك الواجبات، وارتكاب المحرمات، وتعودوا بذلك إلى دينكم الحق الذي حَدَّثْتُمْ عنه فترةً من الزمن .

### الأصل الثاني: توحيد صفها وجمع كلمتها:

وعلى الساعين إلى إصلاح حال الأمة أن يبذلوا قصارى جهدهم في جمع كلمة الأمة، وتوحيد صفها قبل استنفارها لمواجهة عدوها، وهناك سنن كونية، وتجارب تاريخية يجب أن يستلهمها، ويفيد منها مَنْ يعمل على النهوض بالأمة، وتغيير حالها، فقد مرَّتْ بالأمة أحوالٌ قريبةٌ من أحوالنا، وظروفٌ تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ ظروفنا، بل ربما كانت أسوأ منها، فعالج المصلحون تلك الأحوال، وبذلوا في سبيل ذلك جهودًا كبيرة، فصلح بذلك حالها، وقوي شأنها، وعاد للأمة قوتها وهيبتها، ولعلنا نستعرض بعضًا منها:

١- فالعرب كان حالهم لا يخفى على أدنى مطلع على التاريخ، وقد أبرز ذلك القرآن، وقرَّره، وامتنَّ على من آمن منهم بتغييره، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ**

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾  
 وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٣-١٠٤]،  
 فما ظهر شأن العرب ولا عزُّوا، ولا قامت لهم دولة إلا بعد  
 أن اجتمعت كلمتهم على الإسلام، وتآلفت قلوبهم بالإيمان،  
 ولوازمه من الأخوة والمحبة، وتوحيد الصف، ونبذ ما كانوا  
 عليه من العصبية الجاهلية الباعثة على التفرُّق والافتتال لأتفه  
 الأسباب.

ولا نصر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمؤمنين إلا بعد أن  
 ألَّف بين قلوبهم بالإيمان؛ فصاروا يداً واحدة على عدوهم،  
 فنصرهم الله ونصر بهم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه، وكان  
 هذا أكبر رادع لأعدائهم أن يطمعوا فيهم؛ لذا عمل اليهود  
 والمنافقون على اختراق هذا الحصن الحصين فما استطاعوا إليه  
 سبيلاً؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتصدى لهم في كل  
 مرة وسيأتي ذكر ذلك<sup>(١)</sup>، وحتى نصارى الشام بذلوا جهداً في

(١) انظر (ص ٦٣).

ذلك فخاب مسعاهم وذلك حينما هجر الرسول ﷺ وأصحابه الثلاثة الذين خُلّفوا؛ فراسلوا كعبَ بنَ مالكٍ ليلحق بهم، والغرض هو شق صف المسلمين، ولكن كعباً تنبّه لذلك، فقال في نفسه: وهذا من البلاء، ثم ذهب بالكتاب فسجّره في التنور<sup>(١)</sup>.

٢- وبموت الرسول ﷺ كادت الفتنة أن تطلّ برأسها بين المهاجرين والأنصار، بسبب ظنّ فريقٍ من الأنصار استحقاتهم للخلافة، وإدارة الدولة، فتصدّى لها كبار الصحابة: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة رضي الله عنهم.

وأخروا - من أجل تلافيها - دفن رسول الله ﷺ حتى حسموا أمرها، وبايعوا أبا بكر رضي الله عنه، واجتمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم، وبذلك تأمّنت الجبهة الداخلية، وهابها من كان متربّصاً بالمسلمين، ووقف عند حدّه.

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك (٣/٦) رقم (٤٤١٨)، ومسلم في كتاب: التوبة باب: توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٨/١٠٥) رقم (٢٧٦٩).

٣- وعندما سمع الأعراب، وحديثو العهد بالإسلام في بعض النواحي بموت رسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ارتدَّ كثيرٌ منهم عن الإسلام، قال ابنُ حَزْمٍ في الفصلِ في المِلَلِ والنَّحْلِ: «انْقَسَمَتِ الْعَرَبُ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: طَائِفَةٌ بَقِيَتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَهُمْ الْجُمُهُورُ، وَطَائِفَةٌ بَقِيَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَيْضًا إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: نُقِيمُ الشَّرَائِعَ إِلَّا الزَّكَاةَ: وَهُمْ كَثِيرٌ، لَكِنَّهُمْ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الطَّائِفَةِ الْأُولَى، وَالثَّلَاثَةُ أَعْلَنَتْ بِالْكَفْرِ وَالرَّدَّةِ، كَأَصْحَابِ طَلْحَةَ وَسَجَّاحٍ، وَهُمْ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ قَبْلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مَنْ يُقَاوِمُ مَنْ ارْتَدَّ وَطَائِفَةٌ تَوَقَّفَتْ فَلَمْ تُطِعْ أَحَدًا»<sup>(١)</sup>.

وذلك - لا شك - موجبٌ للتنازع والفسل، وذهاب  
الريح، فتصدى لذلك أبو بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قبل كل شيء ماعدا  
إنفاذ جيش أسامة بن زيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** إنفاذاً لوصية النبي  
**صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبعده بادر الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** بإعادة الناس إلى  
الجمادة من حيث إعادتهم إلى التوحيد والإيمان، وإعادتهم  
إلى حظيرة الأمة، وسلطة الخلافة، وجمع الكلمة، وما بدأ

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٧٦/١٢).

فتوحاته للدول والأمم المجاورة إلا بعد أن أصبح المسلمون يدًا واحدة، وكلمة واحدة كما يحب الله أن يكونوا عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُمُ بَيْنَ مَرْصُوصٍ﴾ [الصف: ٤].

فحقَّق الله له فتح باب الفتوح، وشرعت جيوش المسلمين تذكُّ أسوار أكبر ممالك الأرض حينها ممالك فارس والروم، وفي عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحقَّق ذلك الحلم، وكَمَّل لهم ما أرادوا في ظلِّ وحدة صفِّهم، وتوحيد كلمتهم.

٤- وعندما حصلت الفتنة بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما ترتب عليها من انقسام، وقاتل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومعهم بقية الأمة، وتوقفت بسبب ذلك الفتوحات، وساء حال الأمة، لم تعد إليها عافيتها التامة إلا بجمع كلمتها من جديد، وذلك بتنازل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تحقيقاً لعلم من أعلام نبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث نوه بذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأثنى به على الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ

فَتَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>، وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً، وسمّوا ذلك العام عام الجماعة، وعادت للأمة قوتها وهيبتها ومكانتها، وتوالى بعد ذلك الفتوحات.

٥- وحينما رأى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في القرن الخامس، حال أهل الأندلس، وما نزل بهم من تسلط النصارى عليهم، وعرف أن سبب ذلك هو ما كانوا عليه من التشتت والنزاع، ومحاربة بعضهم بعضاً؛ عبّر إليهم ووحدهم تحت قيادته، ثم واجه بهم عدوهم صفاً واحداً، فانتصروا عليه في معركة الزلاقة نصرًا مؤزرًا كان من نتائجه أن تأخر بقاء المسلمين في الأندلس أربعة قرونٍ من الزمان كما يقول بعض المؤرخين، ولما رجع إلى المغرب، وعادوا إلى ما كانوا عليه من النزاع والصراعات عبّر مرةً أخرى، بل مرّاتٍ، وأزاح تلك القيادات الهزيلة، وجمع أهل الأندلس في دولة واحدة تحت

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» (١٨٦/٣ برقم ٢٧٠٤) عن أبي بكر رضي الله عنه.

إِمْرَتِهِ، وبذلك عَزَّتْ دولة الإسلام في المغرب والأندلس،  
وطال بقاءها بعد أن كانت آيلةً للسقوط<sup>(١)</sup>.

٦- وهكذا فعلَ عمادُ الدينِ زُنْكي وابنه نورُ الدينِ  
الشهيدُ، ووارثُ دولتهم وجهادهم صلاحُ الدينِ الأيوبي<sup>(٢)</sup>،  
هؤلاء وجدوا قلبَ العالمِ الإسلاميّ -العراق والشام ومصر،  
واليمن وغيرها من أرض الله- وجدوه مُمزَّقًا متشظيًا في كل  
قريةٍ دولةٍ وأميرٍ، والرَّفْضُ هو المسيطرُ على أجزاء من تلك  
البلاد في مصر وغيره، والصليبيون مالكون لأكثر بلاد الشام  
وما والآها، والمتنفذون من المحسوبين على المسلمين يتبارونَ  
في موالاتهم، وتقديم القرابين إليهم، رأوا ذلك كله، فبدأوا  
بالقضاء على ذلك التمزق، وعلى الوجود الرفضيّ والباطنيّ،  
فلَمَّا تمَّ لهم ذلك في آخر دولة نور الدين زنكي، وبداية دولة  
صلاح الدين تفرَّغوا لجهاد الصليبيين، فانتصروا عليهم،

(١) ينظر: الأندلس من الفتح إلى السقوط، راغب الحنفي (١٢)، الزلاقة  
معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس، جميل المصري  
(١٨١).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٣٢٧/١٢)، سير أعلام النبلاء،  
الذهبي (٤١١/١٥).

واستردُّوا بلادَ المسلمين من قبضتهم، وفي مقدِّمتها بيتُ المقدس؛ على يد صلاح الدِّين، ولمْ تقمْ للصليبيين بعده في ديار المسلمين قائمة. جاء في الموسوعة البريطانية: «لقد نجح صلاحُ الدِّين في قلب الميزان العسكري للقوَّة في صالحه عن طريق الاتحاد، وضبط العدد العظيم من القوَى المشتتة أكثر من استخدام التكتيك العسكري الحديث أو المتطور»<sup>(١)</sup>.

٧- وبعد ذلك بمُدَّةٍ حينما غزا التتار الشَّامَ أيامَ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، كان أوَّل ما عمله لمواجهة العدو، جَمَعَ أهل الشام ومصر على كلمة واحدة، وإقناعهم جميعاً بجهاد العدو، فتكوَّن الجيشُ الشاميُّ من جميع أهل السنة -بمعناهم الواسع- أثرية وأشعرية وصوفية، ولمْ يستثنِ إلا مَنْ عرِفُوا بخيانتهم وغدرهم وعداوتهم لأهل السنة، وهم الرافضة والباطنية.

جمع الجميع من أهل الشام، وألحَّ على سلطان المماليك بمصر آنذاك -الناصر محمد بن قلاوون- فجاء ومعه جيش

(١) نقلاً من مقال بعنوان: خطورة الفرقة وأسبابها، للكاتب مصطفى حمودة عشبية، شبكة الألوكة:

الدولة، وتوحدوا تحت قيادة واحدة، ونازلوا العدو في معركة شقحب، فانتصروا عليه، بفضل الله ثم بفضل توحيد موقفهم وتعاونهم، وتصحيح بعض الأخطاء التي كانوا عليها كما ذكر ذلك شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

### ثمرة هذه الجولة:

والذي نخرج به من جولتنا مع هذه التجارب: أن ما قام به أولئك المصلحون هو التجسيد العملي لقوله تعالى:

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦]، ولقوله في المقابل: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦]، قال ابن عطية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «إنما معنى هذه الآية الحُصُّ عَلَى قِتَالِهِمْ وَالتَّحَرُّبُ عَلَيْهِمْ وَجَمْعُ الْكَلِمَةِ، ثُمَّ قَيَّدَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿ كَافَّةً ﴾، فَيَحَسِبُ قِتَالَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ لَنَا يَكُونُ فَرَضٌ اجْتِمَاعِنَاهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» (١).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تفسير ابن عطية - (٣ / ٣١).

وهو تجسيدٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا﴾ [الصف:٤].

وهو اقتداءٌ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ابتداء إقامة دولة الإسلام، فتلك التجارب تفسّر لنا عملياً هذه الآيات، وترجعنا إلى ما ذابَّ عليه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سيرته العطرة، وتُورثنا الاعتقادَ الجازمَ أنَّ وحدة الأمة هي واجبُ العصر؛ وحدثها بجميع فئاتها السُّنِّيَّة شعوباً ودُولاً، وإذا كان ذلك غيرَ متيسِّرٍ الآن على مستوى الأمة كاملة، فمن تيسر منهم، ولو أن تتوحَّد مواقفُ كلِّ أهل بلد فيما بينهم تمهيداً للوصول إلى وحدة المواقف العامة لجميع المسلمين أهل السنة.

وقد طبق هذا المبدأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما سبق من كتابة الوثيقة بين مكونات سكان المدينة وهذه نماذج عملية تطبيقية لما تضمنته تلك الوثيقة:

**النموذج الأول:** حرص النبي والمسلمين على شهود المنافقين معهم معركة أحد وقد أشار إلى قصتهم القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٥٠٠)، دلائل النبوة، البيهقي (٢٠٨/٣).

**النموذج الثاني:** حرصه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على حضورهم معركة الخندق وقد حضروا بالفعل أو حضر بعضهم على الأقل، وقصتهم في ذلك مشهورة ذكرها القرآن الكريم (١).

**النموذج الثالث:** حرص النبي والمسلمين على حضور ووقوف بني قريظة مع المسلمين في معركة الخندق وقصتهم كذلك مشهورة وأشار إليها القرآن وفصلتها كتب السنة والسيرة (٢).

**النموذج الرابع:** ندب جميع أهل المدينة للنفرة إلى تبوك وخروج بعض المنافقين معه وتخلف أكثرهم عن الخروج واعتذارهم اعتذارا كاذبا عن التخلف وإذن لنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لهم، وعتاب الله له على ذلك كما في سورة التوبة (٣).

هذه النماذج كلها في حياة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم مازال ذلك دأب المسلمين في عصورهم المختلفة، بل إن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وضع لنا قاعدة عامة وهو يشرح لأصحابه مسوغ

(١) ينظر: دلائل النبوة (٣/٤-٢)، الروض الأنف، السهيلي (٦/٢٠٧).

(٢) ينظر: الروض الأنف (٦/٢٦٨)، الرحيق المختوم، المباركفوري (٢٤٩).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١١/٤٦٨)، المحرر الوجيز (٤/٥٤).

قبوله لصلح الحديبية، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»<sup>(١)</sup>، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يعدد ما في صلح الحديبية من الفوائد: «وَمِنْهَا: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْبِدْعِ وَالْفُجُورِ وَالْبُعَاةِ وَالظُّلْمَةِ إِذَا طَلَبُوا أَمْرًا يُعْظَمُونَ فِيهِ حُرْمَةٌ مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أُجِيبُوا إِلَيْهِ وَأَعْطَوْهُ وَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ مَنَعُوا غَيْرَهُ فَيَعَاوَنُونَ عَلَى مَا فِيهِ تَعْظِيمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَيُمْنَعُونَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، فَكُلُّ مَنْ التَّمَسَّ الْمُعَاوَنَةَ عَلَى مَحْبُوبٍ لِلَّهِ تَعَالَى مُرْضٍ لَهُ، أُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ كَأَنَّ مَنْ كَانَ، مَا لَمْ يَتَرْتَبْ عَلَى إِعَانَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمُحْبُوبِ مَبْعُوضٌ لِلَّهِ أَعْظَمُ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

وهذه نماذج من تعاون أهل السنة وتوحيد مواقفهم

على ما فيه مصالحهم العليا رغم ما بينهم من خلافات:

قال ابن كثير في تاريخه في سياق حديثه عن الدولة البويهية الرافضية وأفعالها القبيحة وما ترتب على ذلك من

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد، برقم:

(٢٧٣١، ٢٧٣٢)، (١٠/٧٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣/٢٦٩).

تسلط الصليبيين على المسلمين:» ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلاثمائة في عاشر محرما عملت الروافض من النياحة وتعليق المسوح وغلقت الأسواق ما تقدم قبلها، وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرازي الحنفي وأبو الحسن علي بن عيسى الرمائي وابن الدقاق الحنبلي بعز الدولة بختيار بن بويه وحرصوه على غزو الروم فبعث جيشا لقتالهم فأظفروا الله بهم، وقتلوا منهم خلقا كثيرا وبعثوا برؤوسهم إلى بغداد فسكنت أنفس الناس<sup>(١)</sup>. فانظر كيف توحد الحنابلة -السلفيون- مع عدة طوائف أخرى، وكلهم وحدوا موقفهم مع السلطان البويهي الرافضي؛ ليدفعوا الخطر الأكبر الذي يهدد الأمة بأسرها وحينما كان زمام الأمور بيد الرافضة لم ير أهل السنة بدا من توحيد الموقف معهم لاقتضاء الحال ذلك لأنه خيارهم لو كانوا في حال السعة وليس في حال الاضطرار.

وقد أورد ابن كثير **رَحِمَهُ اللهُ** صورة لتوحيد الموقف بين الحنابلة -السلفيون بتعبيرنا المعاصر- وبين الأشاعرة حينما اقتضى الحال ذلك لواجب جهاد الصليبيين، فقال في ترجمة

(١) البداية والنهاية (١١/٢٧٣).

الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي شيخ الحنابلة المقدسين في وقته **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وكان هو وأخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغني وأخوه الشيخ العماد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج، وقد حضر وا معه فتح القدس والسواحل وغيرها، وجاء الملك العادل يومًا إلى خيمتهم، أي: خصهم لزيارة أبي عمر وهو قائم يصلي فما قطع صلاته، ولا أوجز فيها، فجلس السلطان واستمر أبو عمر في صلاته، ولم يلتفت إليه حتى قضى صلاته **رَحْمَةُ اللَّهِ**»<sup>(١)</sup>.

وقبل ذلك حصل توحيد موقف الحنابلة والأشاعرة في بغداد لمواجهة تفشي الفساد الأخلاقي، قال ابن رجب **رَحْمَةُ اللَّهِ** في ذيل طبقات الحنابلة: «وفي سنة أربع وستين وأربعمائة: اجتمع الشريف أبو جعفر ومعه الحنابلة في جامع القصر، وادخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه. وطلبوا من الدولة قلع المواخير، وتتبع المفسدين والمفسدات، ومن يبيعُ النبيذ، وضربَ دراهم تقع بها المعاملة عوض القراضة. فتقدم

(١) البداية والنهاية (١٣/٥٩).

الخلفية بذلك. فهرب المفسدات، وكُيِّسَت الدور، وأريقت الأنبذة»<sup>(١)</sup>.

أبو إسحاق الشيرازي رَحِمَهُ اللهُ شافعي المذهب أشعري الاعتقاد، بل هو رأس أصحابه في بغداد وقد كان له دور بارز في الفتنة التي جرت بين الأشاعرة والحنابلة بعد ذلك فيما عرف بفتنة ابن القشيري وهي فتنة من أسوأ ما حصل من الفتن بين أهل السنة سقط فيها قتلى وانتهكت فيها حرمان وذهبت أموال وشمتم بسببها الرافضة من أهل السنة حدثت سنة (٤٦٩) بعد خمس سنوات من هذا التعاون والموقف الموحد بينهما، بينما كانت جذور الخلاف والنزاع بينهما قديمة قبل ذلك بأزمان<sup>(٢)</sup>.



(١) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (١ / ٣٦).

(٢) ينظر: طبقات الحنابلة (١ / ٣٩).

## المبحث الخامس

## القاعدة التي نجتمعُ عليها

وهنا أقترح أن تكون لنا قاعدة نتفق عليها، وهي:

إنَّ اتحاد المواقف فيما يحقُّ المصالح العليا للأمة ليس من شرطه الاتفاق في جميع المبادئ والقناعات، وأعني بذلك أن قادة البلاد السننية من علماء ومثقفين وسياسيين ومَنْ له صوتٌ مسموعٌ في البلاد السننية؛ يجب عليهم أن تتوحد مواقفهم على ما فيه المصالح العليا لشعوبهم وأوطانهم، ويصدقوا الله في ذلك، ويتجرّدوا عن عصبية تهم الطائفية والحزبية والعرقية والمناطقية، وسائر العصبية الجاهلية، وعن أهوائهم ومصالحهم الخاصة، ويعملوا على تحقيق المصالح العليا للأمة، ودفع المخاطر المحدقة بها؛ فالخلاف لن ينتهي، والقناعات لن تتوحد، ولمعالجة ذلك منهجٌ شرعيٌّ يجب السَّيرُ عليه؛ كي لا يفرّقنا تباينُ القناعات، ولا يدفعنا الخلاف إلى التنازع الممقوت.

وقد سبق ذكر الأدلة والشواهد على مشروعية هذه القاعدة وأكرر هنا هذا النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ** قال: «فَإِذَا تَعَدَّرَ إِقَامَةَ الْوَاجِبَاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْ فِيهِ بَدْعَةٌ مَضَّرَتْهَا دُونَ مَضَرَّةِ تَرْكِ ذَلِكَ الْوَاجِبِ: كَانَ تَحْصِيلُ مَصْلَحَةِ الْوَاجِبِ مَعَ مَفْسَدَةِ مَرْجُوْحَةٍ مَعَهُ خَيْرًا مِنْ الْعَكْسِ، وَهَذَا كَانَ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ فِيهِ تَفْصِيلٌ»<sup>(١)</sup>.

وليحذر الجميع من مكائد أعدائهم الذين يعملون على تفريقهم بوسائل شتى، ويختلقون لذلك مسوغات خبيثة ماكرة، يوحون لكل فئة منهم بما يروج عنده، فهناك مسوغات دينية بزعمهم وإيحاءهم، وهناك مسوغات سياسية، واقتصادية، وأمنية، وعرقية، كل ذلك وغيره تستخدمه مخبرات الأعداء، وتسخر لتنفيذه قيادات الأمة السياسية والدينية والاجتماعية والإعلامية وغيرها ممن يطيعها في ذلك بوعبي أو بغير وعبي.

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢١٣).

وهذا تصوير لهذه المؤامرات جاء في معرض الردّ على مَنْ  
 يداوي بالتي كانت هي الداء:  
 لَا لَيْسَ ذَاكَ هُوَ الْعِلَاجُ وَإِنَّمَا هَذَا  
 مُرَادُ عَدُوِّنَا وَمَرَامُهُ  
 فَتَرَاهُ يَنْفُخُ فِي أَتُونِ صِرَاعِنَا  
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُطَاعَ كَلَامُهُ  
 وَيُعَدُّ لِلْخُطَطِ الْخَطِيرَةِ وَحَدَهُ  
 وَالْكُلُّ فِي تَنْفِيدِهَا خُدَامُهُ  
 يَتَسَابَقُ الْمُتَزَلِّضُونَ لِضَرْحِهَا  
 فِينَا وَيُكْمِلُ مَا بَقِيَ إِعْلَامُهُ  
 وَعُيُونُهُ فِيهَا تَجُوسٌ وَإِنْ تَرَى  
 ذَا هَيْئَةٍ فَمُرَيِّفٌ إِسْلَامُهُ  
 مِنَّا وَفِينَا غَيْرَ أَنْ ضَمِيرُهُ  
 قَدْ بِيَعِ يَوْمَ تَكَاثَرَتْ آثَامُهُ<sup>(١)</sup>

وفي مثل ذلك نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن  
 تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ  
 وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ

(١) من قصيدة للمؤلف بعنوان: (لكي نخرج من التيه).

رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْنَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ  
﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ  
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ  
إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٣].

وأكثر المفسرين على أن هذه الآيات نزلت في ما قام به

اليهود من السعي لبذر الفتنة بين المسلمين <sup>(١)</sup>.

قال البغوي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «قال زيد بن أسلم: إن شاس بن  
قيس اليهودي - وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الطعن على  
المسلمين - مر على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم  
يتحدثون، فغاضه ما رأى من ألفتهم، وصالح ذات بينهم في  
الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، قال:  
قد اجتمع ملا بني قبيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن - تفسير الطبري - (٥٨/٦)،  
والجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي - (١٥٥/٤)، وأسباب  
النزول، الواحدي (١/١١٦-١١٧)، والاستيعاب في بيان الأسباب،  
سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر (١/٢٧٨).

اجْتَمَعُوا بِهَا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ شَابًّا مِنَ الْيَهُودِ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: اَعْمَدِ إِلَيْهِمْ، وَاجْلِسْ مَعَهُمْ ثُمَّ ذَكَرَهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ، وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشَدَهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا اتَّفَقُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ، وَكَانَ بُعَاثٌ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ مَعَ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِيهِ لِلْأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ، فَفَعَلَ وَتَكَلَّمَ فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاثَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيِّينِ عَلَى الرُّكْبِ، أَوْسُ بْنُ قِبْطِيٍّ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ مِنَ الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ وَاللَّهِ رَدَدْتُهَا الْآنَ جَذَعَةً، وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، وَقَالَا: قَدْ فَعَلْنَا السَّلَاحَ السَّلَاحَ مَوْعِدِكُمُ الظَّاهِرَةَ، وَهِيَ حَرَّةٌ فَخَرَجُوا إِلَيْهَا، وَأَنْضَمَّتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى دَعْوَاهُمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَيَمَنُ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَبِدَعُوهُ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمُ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَلَّفَ بَيْنَكُمْ؟ تَرْجِعُونَ إِلَى مَا

كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا، اللَّهُ اللَّهُ (١)، فَعَرَفَ الْقَوْمَ أَنَّهُمْ نَزَعَتْهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَالْقُوا السَّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَبَكُوا وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، قَالَ جَابِرٌ: فَمَا رَأَيْتُ قَطُّ يَوْمًا أَفْجَحَ أَوْلًا، وَأَحْسَنَ آخِرًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ (٢).

### استمرار سياسة الأعداء في التفريق بين المسلمين:

وما زالت هذه السياسة سائدة لدى أعداء المسلمين إلى اليوم، بل هي اليوم أشدُّ وأنكى، وهناك مقالٌ مُهمٌّ، رصدَ بعضَ خِطَطِ الأعداء لتفريق المسلمين، وجعلهم يتنازعون، ليفشلوا وتذهب ریحهم.

المقال بعنوان: (الطائفيةُ سلاحُ الغربِ الأُمضى لتفتيت الشُّرقِ الأوسطِ)، للكاتب عبد الحميد سلُّوم،

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: إذا جاءك المؤمنات، برقم: (٤٩٠٥، ٢٥٣٠)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر

الأخ ظالمًا أو مظلومًا، برقم: (٦٧٤٨)، (١٩/٨).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٧٦-٧٥/٢).

يقول فيه: « في هذا المقال سأستعرض بعض الوثائق والوقائع والحقائق والمعطيات والتصريحات المأخوذة كلها من أفواه الصهاينة في إسرائيل أو في أمريكا، معتمداً أحد مناهج البحث السياسي المتعددة، ألا وهو المنهج التاريخي الذي يستند إلى الأحداث التاريخية في فهم الحاضر والمستقبل، وعدم فهم وإدراك أية حالة سياسية إلا بالعودة إلى جذورها التاريخية وتطورها، سلباً أم إيجاباً».

وبالفعل أورد عدداً كبيراً من الوثائق والتصريحات والتنظيرات لعدد من عتاولة الصهاينة والمتصهينين؛ ففي يوم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل أعلن دافيد بن غوريون «أنَّ أمنَ إسرائيل يتحقَّق عندما تكون إسرائيل أقوى عسكرياً من أي تحالف عربي محتمل»، وجاء شرح ذلك في مقال بقلم الصحفي الإسرائيليِّ عود يدينون المرتبط بالخارجية الإسرائيلية، دعا فيه بوضوح إلى نشر الفوضى في العالم العربيِّ، وإحداث انقسام في الدول العربية من الداخل إلى درجة تصل إلى مختلف الجمهوريات العربية وتجزئتها إلى جيوب طائفية، وسبق لوزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنري كيسنجر

أن صرّح أنه بهذه المنطقة وُجِدَتْ كُلُّ الأديان، ولا يمكن التعامل معها إلا من خلال الدين!!!، أي: أن اللعب على وتر الدّين هو المدخل المناسب لتنفيذ المشاريع التي تصبو إليها الصهيونية العالمية؛ ويقصد بذلك بث الصراعات الدينية والطائفية بين أهل هذه المنطقة .

وفي مقابلة لبرنامج لويس في ٢٠ / ٥ / ٢٠٠٥ قال تمامًا ما يأتي: «إن العرب والمسلمين قومٌ فاسدون ومفسدون فوضييون، لا يمكن تحضّرهم، وإذا تُركُوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضّر بموجات بشرية إرهابية تدمّر الحضارات، وتقوِّض المجتمعات؛ ولذلك فإن الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور، فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة، لتجنّب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان...، وأنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعيَ لمراعاة خواطنهم، أو التأثير بانفعالاتهم، وردود الأفعال عندهم؛ ولذا يجب تضييق

الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبيات القبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمّر الحضارة فيها».

وجوناثان كوك في كتابه: (إسرائيل وصراع الحضارات) يكشف بوضوح محاولات إسرائيل استخدام مقولة صراع الحضارات لإعادة صياغة الشرق الأوسط بأكمله على نحو مواتٍ لها ولصالحها!!

ويؤكّد (كوك) أن الحرب الأهلية، ودعوات التقسيم التي رافقتها كانت على وجه التحديد هي الهدف الأول لغزو العراق، وأن هذا الهدف لم يوضع في واشنطن، وإنما في مكان آخر على بُعد آلاف الأميال ويقصد تل أبيب، والحالة العراقية التي تسودها الانقسامات الطائفية والدينية والعرقية تشكّل المواصفات المثالية للدولة العراقية من وجهة النظر الإسرائيلية، وبحسب التصوّر الصهيوني فمن يسيطر على العراق يتحكم استراتيجياً في الهلال الخصيب، وبالتالي الجزيرة العربية، فضلاً عن موارده الضخمة. وغير هؤلاء من

كبار مفكري الصهاينة وأنصارهم؛ كلهم يوصون بإشعال الفتنة في أوساط المسلمين، والعمل على تقطيع أواصرهم.

فليفكر العقلاء؛ لماذا كلُّ هذا المكر؟ لماذا كل هذه الخطط؟ لماذا كل هذه الجهود؟

أَلِلْعَبَثِ؟ أَلِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ؟ أَلِأَجْلِ أَهْدَافٍ تَافِهَةٍ وَمِصَالِحِ  
أَنِيَّةٍ؟ قَطْعًا لَا، بَلِ لِأَهْدَافٍ كَبِيرَةٍ وَبَعِيدَةِ الْمَدَى.

إذن: فالواجب علينا العمل بكلِّ ما أوتينا من قوة لإفشال تلك المشاريع التدميرية؛ وذلك بالعمل لتحقيق عكس ما يريدون؛ من إصلاح ذات البين، ووحدة الصف؛ وجمع الكلمة؛ على توحيد الله تعالى، وأصول السنة؛ لنصل إلى توحيد المواقف؛ على أن يسبق ذلك توفير الوسائل الموصلة إلى تلك الأهداف، وعلى رأسها الالتزام بأدب الحوار.

ولا يُلَزَمُ -من أجل جمع كلمة المسلمين، وتوحيد مواقفهم- أحدٌ بترك مذهبه الدينيِّ، أو قناعاته الفكرية، بل يُقْبَلُ منه وقوفُه مع إخوانه وهو متمسك بما هو مقتنع به، فلا يدهن بموافقة الآخرين فيما لا يقتنع بصحته،

ولا يدهنونونه بتصويب ما يعتقدون أنه مخطئ فيه، بل يوحّدون مواقفهم ويتمسك كلُّ بما يعتقد صحته وبقناعاته مع استمرار المناصحة، والجدل بالتي هي أحسن، والتحلّي بأرقى آداب الخلاف بين علماء الأمة وقادة فكرها وسياستها بكلِّ تجرّد وإخلاص.

ولا يستثنى أحد من الاصطفاف في صف الدفاع عن حياض الأمة، والسعي لتحقيق مصالحها إلا مَنْ خيفتُ خيانتة وعمالته بأدلة تُثبِتُ عليه ذلك، وفي الوقتِ نفسه لا يُلامُّ أحدٌ على وضع يده في يد مَنْ يخالفهم في بعض القضايا، لتوحيد المواقف، وتحقيق المصالح العليا للأمة، وبذلك نجتاز بعض العوائق والعقبات التي تحول دون اجتماع كلمة الأمة وتعاونها فيما يحقّق مصالحها العليا.

**وهناك ثلاثُ فِرَقٍ؛ تُصدُّ عن جمع الكلمة، وتوحيد**

**المواقف:**

**فأما الفرقة الأولى:** فهم السياسيون الذين ينطلقون من منطلق المصالح الضيقة لأنفسهم أو أحزابهم، وما نشأوا

عليه من تقديس الذات، والإعجاب بالرأي والنفس، أو المستسلمون لإملاءات الأعداء.

وعلى هؤلاء أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَفِي أُمَّتِهِمْ، وَأَنْ يَرِجِعُوا مَا تَزَخَّرَ بِهِ نصوص الوحي كتاباً وسُنَّةً من وجوب الحذر من مكائد الأعداء، وتحريم اتخاذهم بطانة ومستشارين، ومن أوضح ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰئَاتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَغْيَظِكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ سَأَوْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّا اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

[آل عمران: ١١٨-١٢٠].

**وأما الفرقة الثانية:** مَنْ يَرَى الْأَيْقِفَ أَي مَوْقِفَ إِلَّا مَعَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي مَبَادئِهِ وَقِنَاعَاتِهِ، وَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَهُوَ

مبتدع، يسلك به مسالك أهل الضلال والابتداع، ويمنع من الاقتراب منه أو التعاون معه، وهذا المنهج يفرّق الأمة، ويحوّل دون اجتماعها على ما ينفعها، وهو بذلك مخالفٌ لهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جمع أهل المدينة حين قدومه إليها، من مسلمين ويهود ومشرّكين، كما صوّرتُه الوثيقة المشهورة، وهي وإن كان في سندها ضعف إلا أن هناك شواهد تشهد لها، وقد اعتمدها كتّاب السير، وشرحها وعدّد فوائدها عددٌ من العلماء والباحثين<sup>(١)</sup>، كم أنه يخالف ما سبق أن نقلناه عن السلف وعلماء الأمة في المباحث السابقة.

**وأما الفرقة الثالثة:** فهم بعض متعصبة الأشاعرة والماتريدية والمتصوفة ومتعصبة المذاهب الذين انطبع في أذهانهم تصور سيئ عن السلفيين بأنهم مجانبون لما عليه السلف في الحقيقة، وبزعم أنهم معادون للأشعرية والماتريدية، وأنهم لا إمام لهم سوى ابن تيمية ومن اتبعه، ومحمد بن عبد الوهاب، ومن سار على طريقه، ويغلو بعضهم فيخرجهم من السنة،

(١) ينظر: الوثيقة النبوية والأحكام الشرعية المستفادة منها تأليف جاسم محمد راشد العيساوي رسالة ماجستير، المجتمع النبوي في عهد النبوة (ص ١٠٨-١١١).

ويرميهم بالابتداع، ويعممهم هؤلاء نموذج الفرقة الثانية على جميع مخالفينهم، وظني أن عقلاء الطوائف لا يوافقونهم على ذلك، ولا يقرُّونهم عليه.

وكل تلك الفرق الصادة عن توحيد الكلمة؛ مجانية للصواب، مخالفة لما عليه أولو الألباب، قميئة أن تدخل تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وتحت قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. ويحسن أن يذكرُوا بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فُجَّةً فَاتَّبِعُوا وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

ويحذر أن يحذروا مما حذر منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اِخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، باب: ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٣/ ١٢٠ برقم ٢٤١٠).

وأيضا يذكرون بحديث ثوبان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتْ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»<sup>(١)</sup>.

فشرط ضمان المنع من تسلط الأعداء هو وحدة الأمة، وعدم ظهور النزاع المؤدّي إلى الاقتتال فيما بينها، والتماهي في هذا العداء، وتأليب كل طرف على الآخر مؤذناً بالدخول في فتنة يتحقق فيها ما حذر منه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فعلى كل تلك الفرق أن تتقي الله، وتدع التعصب والهوى والإعجاب

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥ برقم ٢٨٨٩).

بالنفس، فإنه من المهلكات، وأن تلتزم العدل والإنصاف وأدب الخلاف، وتغلب مصلحة الأمة العليا على جميع الاعتبارات.

### وجوب العودة إلى ما كان عليه الحال قبل حدوث الفتنة:

كان أهل السنة والحديث إلى زمن الإمام أحمد بن حنبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** شيئاً واحداً متفقة أصولهم ومناهجهم في تأصيل السنة والعقيدة وشرحها وبيانها وتبليغها للناس والدفاع عنها حين يهاجمها خصومهم من سائر فرق الضلال وكذلك كان موقفهم في الرد على خصومهم وتفنيد شبهاتهم.

وفي زمن الإمام أحمد ظهر الإمام عبد الله بن سعيد بن كلاب **رَحْمَةُ اللَّهِ** الذي كان يرد على متكلمي خصومهم بنفس طريقتهم في الجدل وقد برع في ذلك ولكنه انشغل به عن علم الأثر وغلب عليه المنهج العقلي الذي ينطلق منه خصوم أهل السنة فوقع منه بعض الأخطاء؛ وبسبب ذلك نَفَرَ عنه وعن أصحابه الإمام أحمد، وحذَّر من مسلكهم ذلك، ومن هنا بدأ الشرخ في صفوف أهل السنة، وصاروا فئتين بعد أن كانوا فئة واحدة، وتميز أصحاب وأتباع بن كلاب باسم

خاص بهم فكان يقال لهم الكلائية؛ غير أنهم مع اختلافهم لم يكن بينهم النزاع المقيت الذي يقع بين فرق الضلال، أو بين أهل السنة وبين المبتدعة الضالين، ثم ظهر الإمام أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ ومر بأطواره المعروفة حتى استقر على طريقة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ كما ذكر ذلك في كتابه الإبانة، وكانوا رغم ما بينهم من خلاف لم يصل بهم الأمر إلى الفرقة والنزاع المقيت؛ وإن جرت بعض الوقائع التي سرعان ما يتجاوزونها.

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام ابن عساكر رَحِمَهُمَا اللهُ مقررًا له، قال: «قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ فِي مَنَاقِبِهِ: مَا زَالَتْ الْحُنَابِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مُتَّفِقِينَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ حَتَّى حَدَّثَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الْقَشِيرِيِّ»<sup>(١)</sup>. وأكد بقوله رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْأَشْعَرِيَّةُ فِيهَا يُثْبِتُونَهُ مِنَ السُّنَّةِ فَرَعٌ عَلَى الْحُنْبَلِيَّةِ كَمَا أَنَّ مُتَكَلِّمَةَ الْحُنْبَلِيَّةِ - فِيهَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنَ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ - فَرَعٌ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّمَا وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ بِسَبَبِ فِتْنَةِ الْقَشِيرِيِّ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤/١٧).

الأشعرية الخراسانيين كانوا قد انحرفوا إلى التعطيل، وكثير من الحنبلية زادوا في الإثبات»<sup>(١)</sup>.

قلت: وهذا هو العدل والإنصاف فما ذهب إليه الأشاعرة الخراسانيون، لا يعمم على جميع الأشاعرة، وما ذهب إليه من زادوا في الإثبات من الحنابلة لا يعمم على جميعهم، وعلى كل فريقي أن يحاور أصحابه ويناصحهم، ويردّهم عما أخطأوا فيه.

وقال **رحمه الله** مقررًا موقفه مما يجري بين الطرفين: «والنَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْحَنْبَلِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَحِشَّةٌ وَمُنَافَرَةٌ - يقصد ما بعد فتنة ابن القشيري الى وقته -، وَأَنَا كُنْتُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَطَلَبًا لِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ، وَاتِّبَاعًا لِمَا أَمَرْنَا بِهِ مِنْ الْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَأَزَلْتُ عَامَّةَ مَا كَانَ فِي النُّفُوسِ مِنَ الْوَحْشَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ثم بين الثمرة التي ترتبت على سعيه في الصلح فقال **رحمه الله**: «وَلَمَّا أَظْهَرْتُ كَلَامَ الْأَشْعَرِيِّ - وَرَأَهُ الْحَنْبَلِيَّةُ -

(١) مجموع الفتاوى (٦/٥٣-٥٤).

(٢) المصدر السابق (٣/٢٢٧).

قَالُوا: هَذَا خَيْرٌ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ الْمُؤَفَّقِ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ، وَأَظْهَرْتُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ لَمْ تَزَلِ الْحَنْبَلِيَّةُ وَالْأَشَاعِرَةُ مُتَّفِقِينَ إِلَى زَمَنِ الْقَشِيرِيِّ فَإِنَّهُ لَمَّا جَرَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ بَعْدَادَ تَفَرَّقَتْ الْكَلِمَةُ»<sup>(١)</sup>.

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «وَهَذَا اضْطَلَحَتْ الْحَنْبَلِيَّةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ، وَاتَّفَقَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَلَمَّا رَأَى الْحَنْبَلِيَّةُ كَلَامَ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ قَالُوا: هَذَا خَيْرٌ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ الْمُؤَفَّقِ، وَزَالَ مَا كَانَ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْأَضْغَانِ، وَصَارَ الْفُقَهَاءُ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ: يَقُولُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى اتِّفَاقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

هذا هو شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي ليس لأحد من العلماء أكثر مما له من الردود على متكلمة الأشاعرة، نجده يفرق بين واجب التأصيل العلمي، ورد ما يعتقد خطأ مما عند أولئك المتكلمين، وبين ما توجهه أخوة الإسلام، وقاعدة اجتماع الكلمة وواجب إصلاح ذات البين .

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٢٨-٢٢٩).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٦٩).

وعندما يقول ابن عساكر: «مَا زَالَتِ الْحَنَابِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مُتَّفِقِينَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ حَتَّى حَدَّثَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الْقَشِيرِيِّ»، وينقل ذلك عنه ابن تيمية مقرأً له، فإنها لا يعينان أنه لا يوجد بينهما خلافٌ علميٌّ في مسائل علمية أو عملية، فذلك أظهر من أن يخفى على الطالب المبتدي فكيف بهما؛ وإنما مرادهما أنهم كانوا متفقين من حيث عدم الصراع والتنازع المذموم، وطعن بعضهما في بعض.

وهذا ما نسعى إلى تحقيقه من خلال ندائنا هذا.

ومما يؤكد أن الزجر عن التنازع بين أهل السنة والجماعة بسبب الخلاف العلمي موقف ثابت لشيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ** ما جاء في رسالته إلى أهل البحرين حيث قال **رَحِمَهُ اللهُ**: «وَالَّذِي أَوْجَبَ هَذَا؛ أَنَّ وَفَدَكُمْ حَدَّثُونَا بِأَشْيَاءَ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ بَيْنَكُمْ، حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّ الْأَمْرَ آلَ إِلَى قَرِيبِ الْمُقَاتَلَةِ، وَذَكَرُوا أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ الْإِخْتِلَافِ فِي رُؤْيَاةِ الْكُفَّارِ رَبَّهُمْ؛ وَمَا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ الْأَمْرَ يَبْلُغُ بِهِدِهِ الْمَسْأَلَةَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ خَفِيفٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٦/٤٨٥).

ثم تكلم عن المسألة التي اختلفوا من أجلها إلى أن قال **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «فَبِالْجُمْلَةِ فَلَيْسَ مَقْصُودِي بِهَذِهِ الرَّسَالَةِ الْكَلَامَ الْمُسْتَوْفِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ، وَإِنَّمَا الْعَرَضُ بَيَانُ أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمُهْمَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي كَثْرَةُ الْكَلَامِ فِيهَا، وَإِقْبَاعُ ذَلِكَ إِلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ حَتَّى يَبْقَى شِعَارًا، وَيُوجِبُ تَفْرِيقَ الْقُلُوبِ، وَتَشْتَتِ الْأَهْوَاءِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا عِلْمٌ مِمَّا يُوجِبُ الْمَهَاجِرَةَ وَالْمُقَاطَعَةَ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِيهَا قَبْلَنَا عَامَّتُهُمْ أَهْلُ سُنَّةٍ وَاتِّبَاعٍ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا مَنْ لَمْ يَتَهَاجَرُوا وَيَتَقَاطَعُوا كَمَا اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وَالنَّاسُ بَعْدَهُمْ فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رَبِّهِ فِي الدُّنْيَا وَقَالُوا فِيهَا كَلِمَاتٍ غَلِيظَةً، كَقَوْلِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:** مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَمَعَ هَذَا فَمَا أَوْجِبُ هَذَا التَّزَاعُ تَهَاجُرًا وَلَا تَقَاطَعًا، وَكَذَلِكَ نَازَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَقْوَامًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي مَسْأَلَةِ الشَّهَادَةِ لِلْعَشْرَةِ بِالْجَنَّةِ حَتَّى آلَتْ الْمُنَازَرَةَ إِلَى ارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ، وَكَانَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ يَرُونَ الشَّهَادَةَ، وَلَمْ يَهْجُرُوا مِنْ ائْتِنَعِ مِنَ الشَّهَادَةِ؛ إِلَى مَسَائِلِ نَظِيرِ هَذِهِ كَثِيرَةٍ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَعْدَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٦/٥٠٢).

ثم قال **رَحِمَهُ اللهُ**: «وَهُنَا آدَابٌ تَحِبُّ مُرَاعَاتُهَا: مِنْهَا: أَنْ مَنْ سَكَتَ عَنِ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَلَمْ يَدْعُ إِلَى شَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ هَجْرُهُ، وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ؛ فَإِنَّ الْبِدْعَ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْهَا لَا يَهْجُرُ فِيهَا إِلَّا الدَّاعِيَةَ؛ دُونَ السَّاكِتِ فَهَذِهِ أَوْلَى.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَجْعَلُوا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مَحَنَةً وَشِعَارًا يُفَضِّلُونَ بِهَا بَيْنَ إِخْوَانِهِمْ وَأَضْدَادِهِمْ؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يُفَاتِحُوا فِيهَا عَوَامَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي عَافِيَةٍ وَسَلَامٍ عَنِ الْفِتَنِ، وَلَكِنْ إِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ عَنْهَا أَوْ رَأَى مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِتَعْرِيفِهِ ذَلِكَ أَلْقَى إِلَيْهِ مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَرْجُو النَّفْعَ بِهِ؛ بِخِلَافِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرُونَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ فَرَضٌ وَاجِبٌ؛ لِمَا قَدْ تَوَاتَرَ فِيهَا عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَصَحَابَتِهِ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ»<sup>(١)</sup>.

ثم قال **رَحِمَهُ اللهُ**: «فَكَذَلِكَ هُنَا لَوْ قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو بِهِ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ، أَوْ قَالَ:

(١) المصدر السابق (٦/٥٠٣-٥٠٤).

إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يُخْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ  
كَانَ هَذَا اللَّفْظُ مُحَالَفًا فِي الْإِيمَانِ لِلْفِظِ الْأَوَّلِ، فَلَا يُخْرَجَنَّ  
أَحَدٌ عَنِ الْأَلْفَازِ الْمَأْثُورَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَقَعُ تَنَازُعٌ فِي بَعْضِ  
مَعْنَاهَا، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ مِنْهُ فَالْأَمْرُ كَمَا قَدْ أَخْبَرَ بِهِ نَبِينَا  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ،  
وَإِلَّا سَتَكُنَّارٍ مِنْ مَعْرِفَةِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
وَالْتَفَقَهُ فِيهِ، وَالْإِعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ وَمَلَا زَمَةِ مَا يَدْعُو إِلَى  
الْجُمَاعَةِ وَالْأَلْفَةِ وَمُجَانَبَةُ مَا يَدْعُو إِلَى الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ؛ إِلَّا  
أَنْ يَكُونَ أَمْرًا بَيْنَنَا قَدْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهِ بِأَمْرٍ مِنَ الْمُجَانَبَةِ  
فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَأَمَّا إِذَا اشْتَبَهَ الْأَمْرُ هَلْ هَذَا الْقَوْلُ أَوْ  
الْفِعْلُ مِمَّا يُعَاقَبُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ أَوْ مَا لَا يُعَاقَبُ؟ فَالْوَاجِبُ تَرْكُ  
الْعُقُوبَةِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْرَعُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ،  
فَإِنَّكَ إِنْ تَخَطَيْتَ فِي الْعَصْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَخَطَيْتَ فِي الْعُقُوبَةِ» رَوَاهُ  
أَبُو دَاوُدَ (١)، وَلَا سِيَّيَا إِذَا آلَ الْأَمْرُ إِلَى شَرِّ طَوِيلٍ، وَافْتِرَاقِ أَهْلِ

(١) لم أعثر عليه في سنن أبي داود، وإنما أخرجه الترمذي، في كتاب الحدود،  
باب: ما جاء في درء الحدود (٤/٣٣ برقم ١٤٢٤)، والحاكم في المستدرک  
(٤/٤٢٦ برقم ٨١٦٣)، وفي إسناده يزيد بن زياد الدمشقي: متروك،  
وضعف الحديث الألباني في إرواء الغلیل (٨/٢٥ برقم ٢٣٥٥).

السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ؛ فَإِنَّ الْفَسَادَ النَّاشِئَ فِي هَذِهِ الْفُرْقَةِ أَضْعَافُ الشَّرِّ النَّاشِئِ مِنْ خَطَا نَفَرٍ قَلِيلٍ فِي مَسْأَلَةٍ فَرَعِيَّةٍ، وَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَمْرٌ فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ [مِنَ اللَّيْلِ] يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»<sup>(١)</sup>.

وَبَعْدَ هَذَا: فَاسْأَلِ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَ هَدْيِ نَبِيِّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَيَجْمَعَ عَلَيَّ الْهُدَى شَمَلْنَا وَيَقِرَّنَ بِالتَّوْفِيقِ أَمْرَنَا، وَيَجْعَلَ قُلُوبَنَا عَلَى قَلْبِ خِيَارِنَا، وَيَعِصِمَنَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَيُعِيدَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. وَقَدْ كَتَبْتَ هَذَا الْكِتَابَ وَتَحَرَّيْتَ فِيهِ الرُّشْدَ وَمَا أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ، وَمَعَ هَذَا فَلَمْ

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة

الليل وقيامه (١/ ٥٣٤ برقم ٧٧٠).

أُحِطَ عِلْمًا بِحَقِيقَةِ مَا بَيْنَكُمْ وَلَا بِكَيْفِيَّةِ أُمُورِكُمْ وَإِنَّمَا كَتَبْتُ  
عَلَى حَسَبِ مَا فَهَمْتُ مِنْ كَلَامٍ مَنْ حَدَّثَنِي وَالْمَقْصُودُ الْأَكْبَرُ  
إِنَّمَا هُوَ إِصْلَاحُ ذَاتِ بَيْنِكُمْ وَتَأْلِيفُ قُلُوبِكُمْ» انتهى (١).

وهذا ميزان عدل من الضرورة بمكان أن نزن به مواقفنا  
من بعضنا، وأحكام كلِّ مِنَّا على إخوانه، وطريق رشد نحن  
أحوج ما نكون لسلوكه، وهو موجهٌ إلى مَنْ أشرتُ إليهم،  
وإلى جميع فئات الأمة .

**تنبيهه: العمل على توحيد المواقف، لا يلزم منه التنازل**

**عن المبادئ:**

هناك مَنْ يرى أَنَّ اتِّحَادَنَا فِي الْمَوَاقِفِ يَقْتَضِي التَّنَازُلَ عَنِ  
مَبَادِئِنَا، وَالتَّخَلِّيَ عَنِ قَنَاعَاتِنَا، وَإِقْرَارَنَا أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ  
طَوَائِفِ الْأُمَّةِ مُصِيبَةٌ فِيهَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ؛ فَتَرَاهُ يُنْكِرُ أَنَّ يُنْكِرَ أَحَدٌ  
مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ خَطَأٌ، وَلَوْ قَامَتِ الْأَدْلَةُ عَلَى خَطْئِهِ خَطَأً لَا تَأْوِيلَ  
سَائِغًا لَهُ، أَوْ يَقَرُّرُ مَا يَرَى صِحَّتَهُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ دُونَ  
إِثَارَةٍ أَوْ لِمِزٍ لِمَنْ يَخَالِفُهُ، وَالْأَدَهَى مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَجَامِلَ الْمُخَالَفِينَ

(١) مجموع الفتاوى (٦/٥٠٥-٥٠٦).

ويهنو مخالفتهم وربما صحح ما يذهبون إليه ؛ وهذا تنازل غير محمود، وليس من لوازم جمع الكلمة.

ولو أنه رغبَ في ترك بعض المستحبات التي تنفر بعض المجتمعين مما لا يُعدُّ تركه تركاً للسنة، ولا ركوباً للبدعة، فإنَّ ذلك له أصل، فقد بَوَّب البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «باب مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْإِخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصَرَ فَهَمُّ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ فَيَقْعُوا فِي أَشَدِّ مِنْهُ»، وذكر تحته حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وَيُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ بِتَرْكِ هَذِهِ الْمُسْتَحَبَّاتِ، لِأَنَّ مَصْلَحَةَ التَّأْلِيفِ فِي الدِّينِ أَعْظَمُ مِنْ مَصْلَحَةِ فِعْلِ مِثْلِ هَذَا، كَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تَغْيِيرَ بِنَاءِ الْبَيْتِ، لِمَا فِي إِبْقَائِهِ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ، وَكَمَا أَنْكَرَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى عَثْمَانَ إِتْمَامَ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ ثُمَّ صَلَّى خَلْفَهُ مِثْمًا، وَقَالَ الْخِلافُ شَرٌّ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري (١/٣٧ برقم ١٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٢/٤٠٧).

## المبحث السادس

## قواعد التعامل مع المخالف من أهل السنة

وهنا سأذكر بعض القواعد في التعامل مع المخالف من المتسبين للسنة، وبعضها تصلح لغيره، ولكنه هو المقصود بالأصالة.

والمخالف الذي نعنيه هنا هو: مَنْ كان من أهل السنة الذين لا يُعْمَصُونَ ببدعة مغلّظة، فردًا كان أو جماعة، إذا وقع منه ما يوجب نصحه أو نقده أو تأديبه، أو حتى إقامة الحد عليه، فلا بأس من ذلك كله بضوابطه الشرعية، وفق القواعد الآتية:

## القاعدة الأولى: التثبُّت من وقوع تلك المخالفة:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجهَلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[الحجرات: ٦]، هذه الآية أصل في الثبوت من الأخبار؛ من حيث صحتها، أو عدم صحتها، وكذا دعاوى الناس على بعضهم،

وعدم التسرع في الحكم عليهم قبل الثبوت من صحة صدور ذلك منهم.

وقال الله تعالى محذراً من الاستعجال في الحكم على المخالف قبل الثبوت من حقيقة حاله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّنَا وَلَا تُقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتَّغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

**القاعدة الثانية: أن يُستَـصحبَ حُسنُ الظنِّ بالمتهم حتى يثبت ما يزيله من اليقين:**

قال تعالى معاتباً من سارع في تصديق ما رُميت به عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣) لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَلَوْلَا لَتَبْتَكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿[النور: ١٣، ١٢]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنَّ إِنَّهُ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ  
 أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ  
 رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

### القاعدة الثالثة: التفريق بين المتأول الصادق وبين المعاند:

وهذه القاعدة مهمة جداً، وواجب مراعاتها، ونحن  
 بصدد السعي لتوحيد مواقف أهل السنة، فالخطأ وارد  
 ومتوقع من الجميع، وإذا كانت الأخطاء الصادرة عن اجتهاد  
 وتأويل سائغ ستفرقنا وتحول دون توحيد مواقفنا فلن نصل  
 إلى تحقيق هدفنا أبداً؛ لذا يجب علينا مراعاة هذه القاعدة، فلا  
 نلغي العذر بالتأويل السائغ، ولا نفتح المجال لكل زاعمٍ أنه  
 متأولٌ لأن (كِلَا طَرَفِي قَصِدُ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ) <sup>(١)</sup>.

(١) عجز بيت، في خزانة الأدب غير منسوب لقائل (١٢٢/٢) وتماه:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد

كلا طرفي قصد الأمور ذميمٌ

وقبله: وأوفٍ ولا تستوفٍ حقل كله

وسامح فلم يستوفٍ قط كريمٌ.

## القاعدة الرابعة: إذا ثبتت مخالفة فردٍ أو جماعةٍ وجب على البقية مناصحتهم:

ففي حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup>. وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبايع أصحابه عليها، ففي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بايعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»<sup>(٢)</sup>، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بايعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السمع والطاعة، فلقتني: «فيمَا استَطَعْتُ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة (٧٤/١ برقم ٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (١/٢١ برقم ٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (١/٧٥ برقم ٥٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس باب بيان أن الدين النصيحة (٩/٧٧ برقم ٧٢٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (١/٧٥ برقم ٥٦).

قال جريرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أَبَايُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ: «وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>.

**القاعدة الخامسة: أن يستعمل التورية في النصيحة؛ بحيث تحقق هدفها دون أن يجرح خاطر المنصوح؛**

المقصود من النصيحة توجيه المخطئ وإرشاده؛ ليعرف جادة الصواب فيعود إليها، وبناء على ذلك لا توجد حاجة ملحة لذكر المنصوح باسمه، فكانت التورية والخطاب العام أدعى للقبول والاستجابة، وهذا هو المنهج النبوي الذي يجب إن يلتزمة من يريدون جمع الكلمة ووحدة الصف، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءَ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟»<sup>(٢)</sup>. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (١/ ٢١) برقم (٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب: في حسن العشرة (٤/ ٢٥٠) برقم (٤٧٨٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٥/ ١١٤) برقم (٥٨٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٤٢٧) برقم (٧٧٤٥)، وصحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٩٧) برقم (٢٠٦٤).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَرْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>. وقد تكرر هذا الأسلوب كثيرًا في نصيحته مما يؤكد أنه منهج متبع، لا مجرد واقعة عين لا عموم لها.

### القاعدة السادسة: السؤال عن الدافع له على ارتكاب تلك المخالفة؛

إن استوجب حاله السؤال؛ ليعذر إن كان له عذر، أو تجري عليه الأحكام بعد إقناعه بخطئه، كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كعب بن مالك وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكذلك فعل مع حاطب ابن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع عظيم الخطأ الذي ارتكبه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥/١٩٤٩)، برقم: (٤٧٧٦)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه (٤/١٢٩)، برقم (٣٤٦٩).

وكلا القَصَّتَيْنِ فِيهِمَا السُّؤَالُ عَنِ الْعِذْرِ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلثَّلَاثَةِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْغَزْوِ عِذْرٌ أُجْرِيَ عَلَيْهِمُ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْهَجْرُ بَيْنَمَا ذُنُبُهُمْ أَخْفُ مِنْ ذَنْبِ حَاطِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمَّا كَانَ لِحَاطِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِذْرٌ لَمْ يُؤَاخِذْهُ رِغَمٌ أَنَّ ذَنْبَهُ أَعْظَمُ، وَالْمُرَادُ أَلَّا يُغْفَلَ هَذَا الْجَانِبُ الْمَهْمُّ حِينَ نَنْصَحُ أَوْ نَعَاتِبُ أَوْ نَحَاكِمُ مَنْ أَخْطَأَ مِنْ إِخْوَانِنَا.

### القاعدة السابعة: حِوَارُهُ إِنْ كَانَ خَطْوُهُ نَاتِجًا عَنْ جَهْلٍ أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ تَقْلِيدٍ لِمَنْ أَخْطَأَ فِي الْمَسْأَلَةِ:

ف«الْحِوَارُ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ يَتَمُّ الْوُصُولُ إِلَى إِقْنَاعِ الْمُخَالَفِ بِالْفِكْرَةِ الصَّحِيحَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَوًى، وَمِنْ خِلَالِهِ يَصِلُ الْمُتَحَاوِرَانِ إِلَى قَلْبِي بَعْضُهُمَا فَيُذْعِنَانِ لِلْحَقِّ، وَهُوَ الْأَسْلُوبُ الْأَمْثَلُ لِلتَّوَاصُلِ وَالتَّفَاهُمِ وَالتَّخَاطُبِ بَيْنَ النَّاسِ، وَهُوَ الْوَسِيلَةُ الْمُثَلَّى الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا يَتَعَارَفُ النَّاسُ وَيَتَأَلَّفُونَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَاطَلَ النَّاسُ بِغَيْرِ الْحِوَارِ الْبِنَاءِ لِتَقْرِيرِ مَا يَرَوْنَهُ مِنْ أَفْكَارٍ وَمُعْتَقَدَاتٍ وَمَبَادِيءٍ، وَهُوَ الْمَنْهَجُ الْأَصُوبُ لِتَفَادِي الْحُرُوبِ وَالْكُوَارِثِ؛ فَلَوْلَا التَّحَاوُرُ الْعَقْلَانِيُّ لَكَثُرَتِ الْحُرُوبُ،

واقْتل الناس فيما بينهم، وَلَهَّاجَتْ أفعالُ الجاهلية، وحرب البسوسِ خيرٌ شاهدٍ على ذلك، فبعد أن اقتتلْت قبيلتا داحس والغبراء مدةً أربعين سنةً كاملةً لم ينتج عنها إلا الدماء والقُتل والتكيل، فلَمَّا جَلَسُوا للتحوار الهادئ أصلح الله بينهم، ولو جلسوا للحوار قبل بدء الحرب لَمَّا وصلوا إلى ما وصلوا إليه من القتال»<sup>(١)</sup>.

كما فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع حاطبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ حيث سألَهُ ما حملك على ما فعلت؟ فبيّنَ عُدْرَهُ فعذره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن مجموع قصص (حاطب)، و(ماعز)، و(الغامدية) نستنتج أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصاً على أن يكونَ لهم عُدْرٌ يَنْجُونَ به من العقوبة، وَلَمْ يَكُنْ حريصاً على عقوبتهم.

فَهَلَّا أَخَذْنَا هذا المسلكَ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مَنْ بَلَغْنَا أنه وقع فيما يُوجِبُ حَدًّا أو تعزيراً، فنحرص على تبرئته أكثر من حرصنا على إثبات ذلك عليه ومعاقبته؟ ذاك خلق الرحمة المهداة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن نزعم أننا أتباعه، فجديرٌ

(١) مقال بعنوان: أهمية الحوار في الإسلام، ينظر:

بنا أن نسلك مسلكه، إلا في المستهتر الذي تكرر ارتكابه للمحظورات، فهذا لا نتوانى في إثبات جرمه، وإنزال العقوبة التي يستحقها به، لكن بهدف تقويمه، وجعله عبرة لمن بهم أن يسير على خطاه دون أن يزيد على ما يستحق شرعاً.

### القاعدة الثامنة: التزام خطاب الشفقة والرحمة في

#### معالجة الخطأ:

كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام أعرابيٌّ فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذُنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ»<sup>(١)</sup>. وكما فعل مع معاوية بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين تكلم في الصلاة، قال: بَيْنَا أَنَا أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاتَّكَلْ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد

أَفْخَازِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لِكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَ اللَّهُ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» (١).

**القاعدة التاسعة: حسن التعامل معه بفعل ما يجب وترك**

**ما يحرم شرعاً:**

بل نفعل كما فعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المخالفين من أصحابه، وكما كان موقف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الثلاثة الذين خلفوا، وكيف كان فرحهم حين تاب الله عليهم؛ يجسد ذلك قول كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا حُمْسُونَ كَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ حَمْسِينَ كَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبْتُ،

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (١/ ٣٨١) برقم (٥٣٧).

سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبَشِّرْ قَالَ: فَخَرَزْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثُوبِي فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثُوبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يَهْنُونِي بِالتُّوبَةِ يَقُولُونَ لَتَهْنِكَ تُوبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: «أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا بَلْ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَرَّ اسْتَتَارَ وَجْهَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

فتأمل هذا الحديث المفصح عن منهج الرفق والرحمة، والمحبة التي لا تزيلها العوارض، ولا تطمسها العثرات.

### القاعدة العاشرة: معاقبته بالهجر، أو غيره مما يصلح به

حاله كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مع الثلاثة الذين خَلَفُوا:

بشرط أن لا يتجاوز في حقه الحدَّ الشرعي؛ حيث إنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منع من التجاوز على المكثّر من شرب الخمر، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: «اضْرِبُوهُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِعَلِيهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا،

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] (٣/٦) برقم ٤٤١٨، ومسلم، كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٤/٢١٢٠ برقم ٢٧٦٩).

لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ»<sup>(١)</sup>. وبشرط أن لا تترتب على عقوبته مفسدة أكبر، وإذا كان هذا في عموم الأيام والأحوال فإن في زماننا هذا يجب الاعتناء بهذا الشرط وإعماله بقوة فإن المفسد المترتبة على المهجر لا تكاد تحصى كما سبق.

### تنبيه:

ولو تأملنا وضعنا الحاضر وما طرأ عليه من انفتاح لأبواب الشر وكثرة دعاة الضلال ووسائل الإغراء التي يملكونها؛ حتى إن الأب لو هجر ابنه لوجد الابن من يستقطبه ويوهمه أنه سيعوضه عن كل ما فقده بسبب هجر أبيه له، فيزداد الابن عتواً ونفراً وتمادياً في الشر، وكذلك من وقع في مخالفة شرعية فهجره أهل الخير لوجد من أهل الشر والضلال أو الكفر من يكرهه في أهل الخير مما يجعله يزداد شراً وانحرافاً.

### القاعدة الحادية عشرة: أن نعامله بعدل:

فإن العدل فضيلة مطلقة؛ لا تقييد في فضله؛ فهو ممدوح في كل زمان وكل مكان، وكل حال، ممدوح من كل أحد، مع

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب: الضرب بالجريد والنعال (١٥٨/٨) برقم (٦٧٧٧).

كل أحد، بخلاف كثير من الأخلاق؛ فإنه يلحقها الاستثناء والتقييد، ولهذا اتفقت على فضله الشرائع والفطر والعقول، وما من أمة أو أهل ملة إلا يرون للعدل مقامه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].  
وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبة الوداع: «إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟»<sup>(١)</sup>.

وبالعدل تحصل العبودية لله وحده، وبه تُعطى الحقوق، وتُرد المظالم، وبه تأتلف القلوب؛ لأن من أسباب الاختلاف الظلم والبغي والعدوان، وبه يُقبل القول، أو يعذر قائله، وبه تحصل الطمأنينة والاستقرار النفسي، ثم ينتج عن ذلك ازدهار العمران المادي والمعنوي، ولهذا تلحظ تناسباً طردياً بين شيوع العدل وقوة العمران عند الأمم<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رب مبلغ أوعى من سامع»، برقم (١٦٥٢)، (٢/ ٦١٩)، ومسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم (١٦٧٩)، (٤/ ٣٩).

(٢) منهجية التعامل مع المخالفين، د سليمان الماجد (ص ١١١).

**القاعدة الثانية عشرة: التجرد من الهوى والعصبية في نظرنا إليه، وحكمنا عليه:**

قال الله تعالى مخاطباً نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، هذا تنيبه لعبد الله ورسوله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو من هو في عصمته، ومكانته عند الله، فكيف بمن دونه؟، وخاطب خيرة خلقه، وخاتم أنبيائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محذراً له من اتباع هوى المعارضين له فقال:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥]. وخاطب جميع المؤمنين بالتجرد عن الهوى فقال

تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ

فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا  
أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥].

وجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتباع الهوى من المهلكات، فقال  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ فَشَحُّ مَطَاعٍ وَهَوَىٰ مُتَّبَعٍ وَإِعْجَابُ  
الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>. فعلى كل من يسعى لجمع كلمة المسلمين، أو  
يستجيب لتلك الدعوة أن يتجرد عن هواه، ويتخلى عن عصبته.

فعن زكريا بن يحيى الكوفي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعت أبا بكر  
ابن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ وقال له رجل: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنِ السُّنِّيُّ؟ فَقَالَ:  
«السُّنِّيُّ الَّذِي إِذَا ذُكِرَتِ الْأَهْوَاءُ لَمْ يَتَعْصَبْ لِشَيْءٍ مِنْهَا»<sup>(٢)</sup>.  
فالسُّنِّيُّ بريءٌ من التعصُّب، ولو كان من يتعصب له من  
أفضل أئمة المسلمين.

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّعَصُّبُ  
لِلْمَذَاهِبِ وَالْأَهْوَاءِ، وَالْحِقْدُ عَلَى الْخُصُومِ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣/١١٤ برقم ٦٤٩١)، وابن عبد البر في  
جامع بيان العلم وفضله (١/٥٦٨ برقم ٩٦١)، وصححه الألباني  
بمجموع طرقه. ينظر: السلسلة الصحيحة (٤/١٢ برقم ١٨٠٢).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٥/٢٥٥٠ برقم ٢٠٥٨).

الإزدياء والإحتقار، وذلك مما يهلك العباد والعلماء فضلاً عن غيرهم، فإن الإشتغال بالطعن في الناس وذكر نقائصهم مما جبل عليه الطبع، فإذا خيل الشيطان إليه أن ذلك هو الحق زاد فيه واستكثر وحلأ له وفرح به ظناً منه أنه يسعى في الدين وما هو إلا ساع في اتباع الشيطان دون اتباع المتعصب له من الصحابة أو من بعدهم، ولو اعتنى بصلاح نفسه وكان على نحو أخلاق من تعصب له لكان ذلك هو الأولى له والأحرى به، وظن أن التعصب له ينقص الناس واحتقارهم بحبه إليه كاذب، فإنه لو كان حياً لم يتعصب لنفسه وعفا عمن سفه عليه فاتباعه أولى بذلك منه، وكل من تعصب لإمام ولم يسر على سيرته فذلك الإمام هو خصمه ومن جملة الموبخين له»<sup>(١)</sup>.

### القاعدة الثالثة عشرة: الصدق التام والشامل:

وهذه القاعدة يجب أن تهيمن على كل ما ذكر وما لم يذكر وحققتها: الصدق مع الله ومع النفس، ومع من نتعامل معه من الخلق، واجتناب كل ما يناقض الصدق، فكل ما ذكر من تشخيص لحال الأمة، وكل ما سيقوم به الساعون لإصلاح

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي (١/١٦٣).

حالتها، وما يجب أن يستشعره المصلحون من الخطر المحقق بها، وما ينادي به المنادون من وجوب جمع الكلمة، ووحدة المواقف، وما ذكر من أخلاق، وسلوك، ومعاملات تؤدي إلى جمع الكلمة، وتوحيد المواقف، وكل ما نفعه للثبات على الحال المرّضي؛ كل ذلك يجب أن يبنى على الصدق.

الصدق بمعناه الشامل الذي يدخل فيه صدق الحديث، وصدق النية، وصدق العهد، وصدق الوعد، وصدق المعاملة، والصدق في كل تصرفات الإنسان، قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾

[التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وعن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ، إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ، فَإِنَّ الصّٰدِقَ طَمَٰنِيْنَةٌ، وَإِنَّ الْكٰذِبَ رِيْبَةٌ»<sup>(١)</sup>. فبالصدق يطمئن الفرد،

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٩ برقم ١٧٢٣)، والترمذي (٤/ ٦٦٨ برقم ٢٥١٨)، والدارمي (٣/ ٦٤٨ برقم ٢٥٧٤)، والحاكم في المستدرک (٤/ ١١٠ برقم ٧٠٤٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ٤٤ برقم ١٢).



ويطمئن المجتمع، وبالكذب تسيطر الريبة على الفرد، وعلى المجتمع مما يحول دون نجاح أي مشروع، سيما مثل هذا المشروع العظيم مشروع جمع كلمة أمة محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.



## الفهرس

٥	المقدمة
١١	<b>المبحث الأول: حقائق لا بد من معرفتها</b>
١١	الحقيقة الأولى: أمة الإسلام أمة واحدة
١٢	الحقيقة الثانية: حق المسلم ثابت بمجرد إعلانه للإسلام ما لم يأت بناقض
١٥	الحقيقة الثالثة: انقسام الأمة إلى أهل سنة وأهل بدعة
١٥	أهل السنة المحضة
٢٠	فمن هو المبتدع المخالف لأهل السنة؟
٢١	الحقيقة الرابعة: توخي قاعدة مراعاة المصالح والمفاسد في معاملة المخالفين
٣٠	الحقيقة الخامسة: المسائل الاجتهادية لا توجب زجراً يؤدي إلى النزاع والتفرق
٣١	الحقيقة السادسة: تعريف أهل السنة بمفهومهم الواسع

٣٣	لماذا نخرج الرافضة من مسعانا لتوحيد المواقف؟
٣٦	مَنْ يخرج من دائرة أهل السنة إضافة إلى الرافضة؟
٤١	المبحث الثاني: فرق الشيعة برغم تباينهم يتوحدون على محاربة أهل السنة:
٤٤	المبحث الثالث: واجب أهل السنة إزاء اصطفاف أهل الكفر والنفاق لمحاربتهم:
٤٩	المبحث الرابع: كيف يكون تغيير الحال من الأسوأ إلى الأحسن؟
٤٩	الأصل الأول: الفرار إلى الله والتضرع بين يديه
٥٢	الأصل الثاني: توحيد صفِّها وجمع كلمتها
٦٠	ثمرة هذه الجولة
٦٧	المبحث الخامس: القاعدة التي نجمع عليها:
٧٢	استمرار سياسة الأعداء في التفريق بين المسلمين
٨٢	وجوب العودة إلى ما كان عليه الحال قبل حدوث الفتنة

٩٣	المبحث السادس: قواعد التعامل مع المخالف من أهل السنة:
٩٣	القاعدة الأولى: الثبوت من وقوع تلك المخالفة
٩٤	القاعدة الثانية: أن يستصحب حُسْنُ الظنِّ بالمتَّهم حتى يثبت ما يزيله من اليقين
٩٥	القاعدة الثالثة: التفريق بين المتأول الصادق وبين المعاند
٩٦	القاعدة الرابعة: إذا ثبتت مخالفة فردٍ أو جماعةٍ وجب على البقية مناصحتهم
٩٧	القاعدة الخامسة: أن يستعمل التورية في النصيحة؛ بحيث تحقق هدفها دون أن يجرح خاطر المنصوح
٩٨	القاعدة السادسة: السؤال عن الدافع له على ارتكاب تلك المخالفة
٩٩	القاعدة السابعة: حِوَارُهُ إِنْ كَانَ خَطْوُهُ نَائِجًا عَنْ جَهْلٍ أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ تَقْلِيدٍ لِمَنْ أَخْطَأَ فِي الْمَسْأَلَةِ
١٠١	القاعدة الثامنة: التزام خطاب الشفقة والرحمة في معالجة الخطأ

١٠٢	القاعدة التاسعة: حسن التعامل معه بفعل ما يجب وترك ما يحرم شرعاً
١٠٤	القاعدة العاشرة: معاقبته بالهجر، أو غيره مما يصلح به حاله كما فعل النبي <b>صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</b> ؛ مع الثلاثة الذين خُلِّفُوا
١٠٥	القاعدة الحادية عشرة: أن نعامله بعدل
١٠٧	القاعدة الثانية عشرة: التجرد من الهوى والعصبية في نظرنا إليه، وحكمنا عليه
١٠٩	القاعدة الثالثة عشر: الصدق التام والشامل
١١٢	الفهرس

